

القـــرار

طريقك إلى المثالية

تأليف:

د.عبد الله بن محمد بهجت

إيمان بنت عبد اللطيف كردي







ح عبد الله محمد بهجت و إيمان عبد اللطيف كردي ، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بهجت ، عبد الله محمد
القرار طريقك إلى المثالية ./ عبد الله محمد بهجت ؛ إيمان عبد اللطيف كردي ./ المدينة المنورة ، ١٤٢٨هـ
٢٨٤ص ؛ ١٤×٢١سم
ردمك : ٩- ٣٨٦- ٥٧- ٩٩٦٠
١ـ اتخاذ القرارات ٢ـ إدارة الأعمال أ.كردي ، إيمان عبداللطيف (مؤلف مشارك) ب. العنوان
ديوي ٦٥٨,٤٠٣ ١٤٢٨/١٥٥٤
رقم الإيداع : ١٤٢٨/١٥٥٤
ردمك : ٩- ٣٨٦- ٥٧- ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م






Saudi Arabia - Madina Munawara - Al-Sitteen Road
Tel: 8366666 - Fax: 8383226 P.O. Box: 901
Al-Deyafa St. Ext. Abazar St. Tel: 8344946 / 8362993
website: www.daralzaman.com
email : zaman@daralzaman.com

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - شارع الستين
هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦ - فاكس: ٨٣٨٣٢٢٦ ص.ب (٩٠١)
فرع الضيافة - إمتداد شارع أبي ذر هاتف: ٨٣٦٢٩٩٣ - فاكس: ٨٣٤٤٩٤٦
موقعنا على الإنترنت: www.daralzaman.com
البريد الإلكتروني: zaman@daralzaman.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء : ٣٦]



مقدمة

الحمد لله الخالق المنان، خلق الإنسان ووهب له العقل وعلمه البيان، وأرسل له مرشداً ودليلاً، وأنعم عليه بالسمع والبصر والفؤاد وجعله على تلك النعم راعياً مسؤولاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله أحكم الحاكمين، قصرت عن إدراك حكمته أفهام العالمين، وتضاءل عند علمه علم المخلوقين. وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين. أما بعد..

فقد اقتضت حكمة الباري سبحانه وتعالى خلق الناس على هذه البسيطة، واقتضت رحمته بعباده أن يهيئ لهم فيها أسباب الحياة؛ فأمدَّهم من الموارد المختلفة وبعث فيهم رسلاً، وأنزل لهم كتباً لعلهم يستنيرون بها إن ضلوا الطريق أو ذهبت بهم السبل ، ووهبهم عقلاً يميزون به الصحيح من السقيم وفؤاداً يتذوقون حلاوة الإيمان به ويتمتعون بأطايب ثمره وينعه.

ولما بعد الناس عن نهج خالقهم فسدت إراداتهم ومن ثم قراراتهم وأصبحوا يتخبطون في الظلمات، وفسدت تبعاً لذلك معيشتهم قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١] فسد الرأي ففسد العمل، وأضحت قرارات الناس مبنية على الهوى والعشوائية والمحاكاة. فقد ظهر الفساد وانتشر في الأرض على جميع الأصعدة، والعيان في ذلك يغني عن البرهان. فالفساد الأخلاقي قد عمَّ شره وطمَّ، ومن آثاره الخنا والزنا والظلم. والفساد المالي قد تفشى في كثير من المعاملات المالية حتى أَلِف الناس الربا وكثرت المماطلة وأكل حقوق الناس بالباطل. أما عن الفساد الديني فليس حاله بأفضل من سابقيه، فالبعد عن منهج الله إنما هو سبب كل زيغ وانحراف وإن دلَّ ذلك على شيء فهو إنما يدل على الحاجة الماسة إلى آلية جديدة يستطيع بواسطتها الإنسان أن يوظف هذا الدين القويم في جميع مجالات الحياة ليرتقي من خلاله خُلقاً وسلوكاً وحضارة.

كما أن من آثار تلك القرارات الغير مدروسة والعجِلة فسادَ البيئة وانتشار التلوث بأنواعه.

ومع ذلك فقد استطاع الإنسان في هذه الجزئية باستخدام آلية منظمة إصلاح بعض شؤون حياته المتعلقة بمعيشته في الدنيا وحقق في ذلك أفضل النتائج.

فانظر إلى استخدام تلك الآلية في مجال المياه مثلاً كيف استطاعوا إيصالها إلى كل مكان، كما استطاعوا مد شبكات المياه والصرف إلى كل مرافق المدن ومنازلها إمداداً وتصريفاً. ووفروا بذلك على الناس عناء الخروج وجلب المياه من الآبار بالقِرَب والدّلاء. وفي مجال المواصلات كيف أصبح العالم مدينة واحدة يجوب المسافر العالم من أدناه إلى أقصاه في أربع وعشرين ساعة. وانظر في مجال العلوم والتقنية كيف استطاعوا بما توصلوا إليه من اختراعات تسهيل الحياة وتيسير المعيشة إلى أبعد الحدود.

كل ذلك إنما يتحقق بعد توفيق الله بواسطة التفكير المنظم (SYSTEMATIC THINKING) باستخدام علم تحليل النظم (SYSTEM ANALYSIS) وتوظيفه لتحسين أداء الإنسان في أي مجال من مجالات الحياة.

ولكن لماذا ننظر إلى حياتنا بهذه المحدودية والنظرة الجزئية ؟ أليست حياتنا كلها الأخلاقية والمادية والاجتماعية والسياسية جديرة بهذا النظر وذلك التحليل لأنه ينبني على ذلك صلاح حالنا ومآلنا، تلك الحياة البعيدة المدى التي لا تنتهي بانتهاء هذه الدنيا الفانية بل حياة أبدية بمراحلها الأربع (الدنيا ـ البرزخ ـ يوم الحساب ـ الدار الآخرة). أليس من الأجدر بنا أن نعم بتفكيرنا وتخطيطنا تلك الأيام

الثقيلة القادمة التي يشيب لها الوليد وتضع كل ذات حمل حملها.

من هنا نشأت فكرة البحث فهو دعوة إلى إعادة النظر في قراراتنا بناءً على تفكير منظم مستمدة أصوله من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فالإنسان رهن قراراته قال ﷺ: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)). قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) (١).

فقرارات الإنسان هي التي قادت أمماً إلى الجروف الهاوية لما نأوا عن الحق واستمرؤوا الباطل. وهي التي قادت أمما أخرى إلى الحياة الكريمة في هذه الحياة الدنيا ثم إلى عالي الجنان في الآخرة بإذن الله.

إنه دعوة إلى فهم قويم وتفكير سليم باستخدام جهاز اتخاذ القرار وعلى ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عسى الله أن يمحو بها ران الجهل والضلال، ويظهر بها الحق ظهور الشمس في رائعة النهار.

وما من شك أن موضوع الامتحان والابتلاء في هذه الحياة الدنيا هو أول أمر يهم كل مسلم على الإطلاق، كيف لا ومستقبل الناس ومصيرهم متوقف على النجاح فيه من عدمه. وهذا هو ما دعانا لإخراج كتابنا (القرار .. طريقك إلى المثالية) ليكون بإذن الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦/ ورقمه ٦٨٥١).

علماً ينتفع به، وعملاً يقوم على ثغرة من ثُغر هذا الدين الحنيف.

قال الأوزاعي : ما من مسلم إلا وهو قائم على ثغرة من ثغر الإسلام فمن استطاع ألا يؤتى الإسلام من ثغرته فليفعل[1].

بالإضافة إلى أسباب أخرى أوجزها في ما يلي :

١ - اختلاف المتقدمين والمتأخرين حول مكان اتخاذ القرار في الإنسان، هل هو الدماغ أم الفؤاد. ولاسيما بعد ظهور علوم جديدة على الساحة كالبرمجة اللغوية العصبية مؤكدة أن القرار عملية تتم في دماغ الإنسان لا في فؤاده.

٢- حاجة العصر الماسة إلى تعلم الطريقة الصحيحة في اتخاذ القرار.

٣- إلقاء الضوء على علاقة القرار الوطيدة بالدين.

٤- حاجة العمل الإسلامي إلى القائد الرشيد صانع القرار الصائب الحكيم.

٥ - إثبات مدى أهمية القرار وأنه مادة اختبار الإنسان في هذه الحياة وأنه أحد المعاني المرادة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾﴾ [الملك: ٢].

---

(١) السنة للمروزي ج١/ ص١٣.

وهو الأمانـة المقصودة في قولــه جل وعـــلا : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب : ٧٢].

هذا وكثيراً ما نسمع عن تخلف الأمة وذلتها وهوانهـا، نســمع ذلك من منابر الخطباء في المساجد، ونقرأ ذلك في الصحف ووسائل الإعلام المختلفة ويتحدث بذلك المثقفون في نواديهم ومنتـدياتهم . . فالكل يؤكد والكل يحوقل ويسـترجع الله ولكـن أيـن الحـل ؟ أيـن العلاج ؟ نعم لاشك في أن العلاج هو العودة إلى هذا الدين الحنيـف. . ولكن هل من آلية جديدة تساعد على توظيـف هـذا الـدين في جميـع القرارات وتساعد أفراده على سلوك منهجـه واقتفـاء أثـره ؟ وإني إذ أكشف هنا للقارئ عن هذا الجهاز العجيب، الجهاز المسـاعد لاتخـاذ القرار، لتفعيله واستثمار إمكانياته المعطلة، لأرجو مـن الله أن يكـون عاملاً فاعلاً في العودة بالأمة إلى منبعها الأصيل والعلو بأفرادهـا إلى مصاف العلماء المجتهدين والجهابذة العارفين.

فإن أصبنا فمنّة من الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

المؤلفان

الموقع : www.amthl.info
البريد الإلكتروني : abahjat@gawab.com

الفصل الأول

- مفهوم القرار
- القرار في اللغة والاصطلاح
- أنواع القرارات

مفهوم القرار

القرار مفهوم لغوي حديث من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فلم أعثر في كتاب الله تعالى ولا في السنة الشريفة على هذا اللفظ بمفهومه الذي نعنيه في البحث. ولا شك أنه مع تقدم الزمن قد تطرأ على بعض الألفاظ استعمالات حديثة تناسب العصر واشتقاقات للكلمة الواحدة لتطويع اللغة.

وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ أخرى للدلالة على المعنى نفسه أو قريب منه كلفظ (الأمر) في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

ولفظ (الرأي) في قوله: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ

مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود : ٢٧].

كما وردت في السنة المطهرة بلفظ (الرأي) كقول (نعم الرأي) و(نبل الرأي) و(ذو الرأي) : قال ﷺ: ((للقرشي قوة الرجلين من غير قريش)) فسأل سائل ابن شهاب ما يعني بذلك قال : نُبل الرأي[1].

وهذا المعنى يُقصد به فئة من الناس يحسنون اتخاذ القرار، بينما البحث هنا يتناول القرار بالتفصيل سواء كان حكيماً أم عشوائياً.

(١) أخرجه ابن حبان وصححه، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، (١٤/ ١٦١) ورقمه ٦٢٦٥ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

القرار في اللغة والاصطلاح

جاءت لكلمة القرار ومشتقاتها في قواميس اللغة عدة معانٍ نوجزها فيما يلي :

القرار : هو المستقر من الأرض. ويوم القرِّ : اليوم الذي بعد يوم النحر لأن الناس يقرون في منازلهم. والحجاج يقرُّون فيه بمنى.

وأقرَّ بالحق : اعترف به. وقررت عنده الخبر حتى استقر(١).

وفي أساس البلاغة(٢): أنا لا أقارُّك على ما أنت عليه، أي لا أقرُّ معك.

وزاد معجم الوجيز(٣) : (القرار) الرأي يمضيه من يملك إمضاءه.

وقرر الأمر رضيه وأمضاه. ويقال قرر المسألة أو الرأي : وضحه وحققه.

---

(١) الصحاح للجوهري (٢ / ٧٨٨). ولسان العرب لابن منظور (١١ / ٩٨ – ٩٩). والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٢ / ١٢٠) ومختار الصحاح للرازي (ص : ٥٢٨ – ٥٢٩). والمصباح المنير للفيومي (٢ / ١٥٤).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري (ص: ٣٦١).

(٣) معجم الوجيز الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر (ص: ٤٦٩ – ٤٩٧). ومعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر (٢/ ٧٢٥).

وقرَّر فلاناً بالذنب : حمله على الاعتراف به.

تقرَّر الرأي أو الحكمة : أمضاه من يملك إمضاءه.

(المقرِّر) عضو من جماعة يوكل إليه بيان ما رأته الجماعة.

أمر مقرَّر : ثابت معترف به.

على ضوء ما سبق والذي أحسب أن القرار الذي نعنيه في هـذا البحث مصطلح جديد وتعبير محدث وبإمكاننا تعريف المعنى العـام لمادة كلمة (قَرَرَ) أنها تدل عـلى معـاني الثبـات والموافقـة والإمضـاء والرضا والاعتراف.

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف القرار اصطلاحاً بأنه:

كل قول أو فعل أو تقرير يصدر من الإنسان البالغ العاقل بإرادته.

والفرد يتخذ في حياته اليومية مئات القرارات بعضها يخرج بصـورة عشوائية والبعض الآخر يخضع للدراسة والتحليل وإعمال الفكر.

وكل بالغ عاقل مسئول عن قراراته مهما صغرت وهو مجازىً عليها يوم الدين بإحدى ثلاث ، بحسنة أو سيئة أو لا ثواب ولا عقاب وذلك بحسب نوع القرار وحجمه وفاعليته. قال تعالى :

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف ٤٩]. وقال جل من قائل : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج ٢٥] . دلالة على أن الهمَّ بالعمل وعقد النية على تنفيذه يعتبر قراراً يحاسب عليه الفرد قال ﷺ: ((من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت)) [١].

إذن فكلّ مكلَّفٍ هو في الأصل صاحب قرار وحياته مبنية على قراراته، إن أحسن أفلح وأنجح، وإن أساء خسر وخاب. فمن أراد الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة فلينظر في قراراته ولا يدعْها تخرج جزافاً، بل لابد وأن ينظر فيها وأن يجعلها وفق ما جاء به الشرع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم . . (١/ ١١٨). ورقمه ١٣٠.

الحكيم. فهو إنما جاء مصوِّباً للقرارات ومقوِّماً لها. قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩].

فالله أسأل أن يمنحنا القدرة على اتخاذ القرارات الصائبة الحكيمة لتستقيم بها الحياة ويسعد بها الإنسان.

أنواع القرارات

ميّز الله الإنسان بالعقل، وأمده بالقدرة على اتخاذ القرار، وتحليل البدائل المختلفة ، واختيار البديل الأنسب له. ولا تخلو حياة الفرد من مسؤولية اتخاذ القرار؛ فكل فرد مرتبط بنظام متكامل وهو مؤثر فيه شاء أم أبى، فلا بد له من النظر والبتِّ في أموره التي تعرض له في حياته.

وقد وضع لنا الشرع الحكيم أسساً ينبغي أن تبنى عليها قرارات الفرد بالنظر إلى دائرة تأثير قراراته. وكلما اتسعت دائرة تأثير القرار، زادت أهميته، وازدادت مسؤولية صاحبه عند الله. ويمكن أن يقسم القرار بداية إلى :

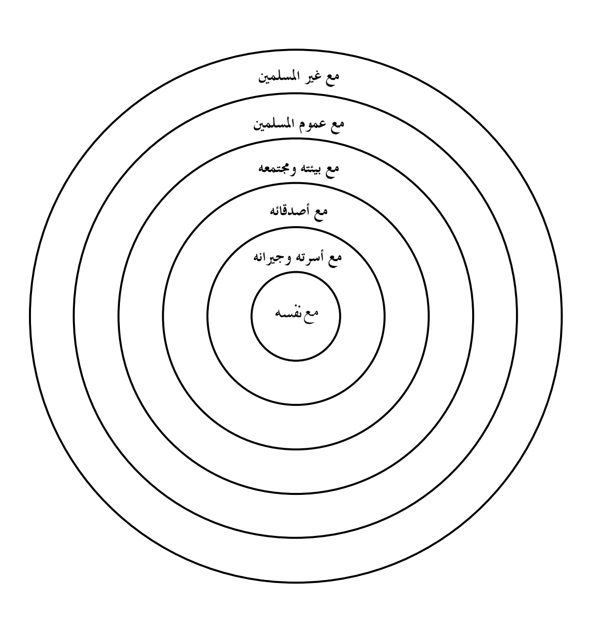
١ـ قرار فردي :

وهو ما يختص به الفرد وحده.

٢ ـ قرار اجتماعي :

وهو ما يتعلق بعلاقته بالآخرين.

وهذا الأخير يتشعَّب ويتسع كلما تقدم العمر بـالفرد وكثـرت المسؤوليات الملقاة على عاتقه؛ فتتسع تبعاً لذلك دائـرة تـأثير قراراتـه على الآخرين. ففي بداية الأمر قد يقتصر الاهتمام بتأثير القـرار عـلى نفسه ثم يرتبط بأسرته ثم يتسع ليشمل الجيرة والأهـل والأصـحاب وهكذا يتسع مع العمر وتتشعب العلاقات حتى يجد الفـرد نفسـه لا يستطيع أن يبتَّ في أمر بمعـزل عمَّـن حولـه فهنـاك علاقـة وطيـدة تربطه بمن حوله كفرد داخل منظومة مترابطة.



دائرة تأثـير القرار

وتتنوع القرارات تبعاً لمسئوليات الفرد:

فالقرار الفردي ينقسم إلى:

أ ـ قرارات حياتية أو معيشية تختص بأكله وشربه وذهابه ومجيئه وما إلى ذلك من حاجاته اليومية.

ب ـ قرارات مصيرية وتختص بحياته وموته وصحته ومرضه . . إلخ .

أما القرار الاجتماعي وهو ما يتعلق بالغير فينقسم إلى :

١- قرار أسري : وهو ما يختص بالأسرة أو أحد أفرادها كالزواج أو الوظيفة أو السُّكنى .

٢- قرار إداري : وهدفه الإدارة المثلى لعمل ما، سواء للمؤسسات أو المنظمات أو حتى داخل الأسرة وهنا يختص به الأبوان أو من ينوب عنهما.

٣- قرار سياسي : وهدفه بناء العلاقات بين الدول ويختص به السياسيون في المناصب العليا أو البرلمانات.

٤- قرار ديني : وهدفه تقويم الزيغ والدعوة إلى الله ويختص به في الغالب رجال الحسبة والدعاة والعلماء.

٥- قرار عسكري : وهدفه وضع استراتيجية أو خطة للحرب أو الأمن والدفاع ويختص به القادة العسكريون.

وكل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو تقرير أو عزم في القلب فهو في الأصل قرار. وينقسم من حيث نوعه إلى :

أ ـ قرار قلبي : لقوله ﷺ : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. . .)) [1].

ب ـ قرار قولي : وهو أقوال الفرد وآراؤه وأحكامه.

ج ـ قرار فعلي : وهو أفعال الفرد وردود أفعاله تجاه أمر معين.

وتنقسم القرارات بحسب طبيعتها إلى :

١ ـ قرارات ذات طبيعة استراتيجية :

وتعتمد على منهج التفكير المستقبلي للاختيار بين بدائل محتملة، لتحقيق أهداف رئيسية أو أهداف بعيدة المدى، أو قرارات مصيرية.

وهذا النوع من القرارت له أهمية عظمى فنجاح العمل

---

(١) صحيح البخاري ج١/ ص٣ورقمه١.

يتوقف على القرار الصائب. إلا أنه من أصعب القرارات نظراً لما يحيط به من حالات مبنية في أغلب الأحيان على الظن والتوقعات فيدخل فيه عنصر المخاطرة إلى حد كبير باعتباره يخص المستقبل ، وهو بلا شك من الأمور الغيبية التي لا مجال للقطع والحسم بشأنها. ومن هذه القرارات الاستراتيجية قرار يوسف عليه السلام حينما وضع خطة محكمة لتجاوز سنوات القحط وأرشدهم إلى ما يعتدُّونه في تلك السنين العجاف، فأمرهم أن يدخروا الحب في سنبله في سِني الخصب ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، ماعدا المقدار المعدّ للاستهلاك السريع وليكن ذلك مع شيء من الترشيد وعدم الإسراف ليستعينوا بذلك على الادخار للسبع الشداد وهي السنون السبع التي تعقبها .

٢ ـ قرارات ذات طبيعة تكتيكية :

وهي القرارات المتعلقة بالأمور الفورية والقريبة المدى لحل مشكلة مؤقتة، أو حالة طارئة يغلب عليها طابع الإلحاح والعجلة، وتعتبر هذه القرارات أقل درجة من حيث الأهمية وهي

كذلك أقل من حيث احتمالية الخطأ لأنها لا تتطلب شدة الفطنة والحدس كما في القرارات الاستراتيجية.

وموضوع بحثنا هنا هو القرار الفردي وهو الذي سنتناوله إن شاء الله بالبحث والاستقصاء والدراسة.

الفصل الثاني

- الحاجة إلى اتخاذ القرار
- أهمية القرار
- نظريات اتخاذ القرار وتطبيقها على القرارات الفردية
- مجالات القرار
- القرار في الكتاب والسنة

الحاجة إلى اتخاذ القرار

كم يحتاج العمل الإسلامي إلى القائد الحكيم.

وكم يحتاج الفقه في الدين إلى العالم المجتهد.

وطالب العلم كم هو بحاجة إلى الموقف الحاسم واختيار التخصص المناسب وفق ميوله وقدراته.

وكل إدارة وكل شركة وكل منظمة كم هي بحاجة إلى قرار حازم ورأي ثاقب.

وكل فرد بأشد الحاجة إلى بصيرة وإقدام لحل مشاكله وإصلاح أموره.

ولاشك أن ما تمرُّ به الأمة الإسلامية من أزمات وما تعانيه من ويلات على مر الزمان عائد بعد قضاء الله لقرار غير صائب من قائد، أو عصيان لقراره ترتب عليه فشل خطة أو إلحاق هزيمة. وها

هم الرماة في غزوة أحد[(١)] عصوْا قرار القائد الفذِّ الحكيم صلوات الله وسلامه عليه فهزمهم العدو ونال منهم. وهاهم في غزوة الخندق[(٢)] ينتصرون بعد قضاء الله وقدره بسبب قرار صائب أشار به سلمان الفارسي[(٣)] ﷺ. وما مُنيَ المسلمون بعدوهم اللدود، ذلك

---

(١) غزوة أحد وقعت في شوال سنة ثلاث للهجرة. لما أصيب كفار قريش يوم بدر شر إصابة خرجوا بحدهم وحديدهم وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ في جيش من المسلمين قوامه سبعمائة مقاتل، وقد أمر الرسول ﷺ الرماة ألا يغادروا مهما كانت الظروف وانتصر المسلمون في بداية الأمر وأخذوا في جمع الغنائم فغادر الرماة مواقعهم فجاء العدو من قبلهم وهُزم المسلمون وكسرت رباعية الرسول عليه الصلاة والسلام وشجت وجنتاه واستشهد حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، واستشهد سبعون من المسلمين. انظر سيرة ابن هشام ص ٦٤ ـ ١٧٧ج٣.

(٢) وقعت غزوة الخندق في شوال سنة خمس للهجرة عندما سعى بنو النضير بعد إجلائهم عن المدينة إلى تأليب العرب وغيرهم على المسلمين فاجتمع الكفار في جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، فأشار سلمان الفارسي ﷺ على رسول الله بحفر الخندق حول المدينة وكان النصر حليف المسلمين. انظر المصدر السابق ص٢٢٤ ـ ٢٤٤.

(٣) هو سلمان ابن الإسلام، أبو عبدالله الفارسي سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه. روى عنه جمع من الصحابة رضوان الله عليهم، توفي سنة ثلاث وثلاثين بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٥٠٥) .

الكيان الصهيوني يسري داخل الجسد الإسلامي الواحد كما يسري الشيطان في مجرى الدم، إلا بقرار فاسد، وزلة قائد عانى المسلمون منه ولا يزالون حتى يُحدث الله أمراً كان مفعولاً.

وقد يعاني فرد من الأفراد أو يُحُكَم على رقاب العباد بزلة فقيه، أو قرار خاطئ من عالم، ومن المشكلات التي أدت إلى الحاجة إلى بحث اتخاذ القرار : جمود الفكر، وانغلاق الفهم، وإغلاق باب الاجتهاد في كثير من المسائل الفقهية والتوقف على فتاوى صدرت وفق ظروف معينة في أزمنة سابقة لا تنطبق على كثير من الحالات ولا الظروف المحيطة، مما يجلب الحرج والمشقة على العباد، وما جعل الله في الدين من حرج.

ولا شك أن دين الإسلام هو الدين الحق الصالح لكل زمان ومكان. والمشكلة هنا كما أحسبها، تكمن في انتشار الجهل بين الناس بعلوم دينهم وانشغالهم عنها بعلوم دنياهم وفنونها مع التثاقل إلى الدنيا بالإضافة إلى ظهور مستجدات كثيرة لاسيما على الصعيد السياسي والاقتصادي والفكري مما زاد الأمر تعقيدا وحيرة، وكثر فيه اللبس ،وطلب الرجوع إلى العلماء لجلاء الأمور ومع انشغال

الناس بدنياهم عن دينهم ورغبتهم في الفتاوى (ذات القوالب الجاهزة) إن صح التعبير، وأعني بها تلك الفتاوى القاطعة بالحلال أو الحرام (بدون تفصيل حتى لا يدخلوا في متاهات وتعقيدات لا طائل من ورائها في ظنهم أو قد لا يستطيعون الاستفادة منها مع قلة علمهم) ورغبة العلماء في التيسير عليهم جعلهم يلجؤون إلى تثبيت كثير من الأحكام المرنة وتضييق مجالات رحبة للاجتهاد، وتحجير أمور كان فيها كثير من السعة، ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال ثبتت تلك الفتاوى على تلك الأحكام مما أدى إلى وقوفها سداً أمام عبور الفتوى واستقائها من النبع الأساس، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فالمشكلة هنا تكمن في تثبيت لمتغير كان قابلاً للتطويع وإيجاد البدائل. مما أدى إلى إغلاق باب الاجتهاد وادعاء ضعاف الإيمان بعدم تكيف الدين مع كل زمان ومكان.

إننا نعيش الآن في زمن تميَّز عن غيره بعدة أمور يجب أن تتأثر الفتوى تبعاً لها :

١- ازدياد الموارد وسهولة الإمكانيات وتطور العلم ووسائل التقنية ، كتطور علم الفلك وتوفر المراصد الدقيقة وتطور

وسائل المواصلات.

٢- تعقد الحياة وتشابكها وتشعب فنونها من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

٣- زيادة عدد السكان والمسلمين خاصة مما يؤكد وجوب إعادة البحث والدراسة والاجتهاد فصدور بعض الفتاوى قد يثقل على الأمة أو يعرض أفرادها للهلاك.

خذ على سبيل المثال فتوى وجوب رمي الجمرات بعد الزوال مما سبب تدافع الحجاج للرمي وحدوث مئات الوفيات هذا ويزداد الحرج والضرر لمن أراد أن يتعجل ويخرج من منى قبل غروب الشمس ، فأنى لذلك البحر المائج، والأعداد البشرية الهائلة أن تتمكن من الرمي بعد الزوال ثم تدفع في ذلك الوقت اليسير إلى مكة قبل غروب الشمس!.

ومنها فتوى النهي الوارد عن بيع الثمرة قبل تمام نضجها وقد استجدَّ الآن التوسع في الصادرات والواردات من أنحاء العالم ويجد التاجر أن من المصلحة قطف الثمرة قبل النضج وبيعها ليتم نضجها أثناء شحنها من بلد لأخر فبعض أنواع الثمار لا يحتمل المكوث على حالة

النضج لفترة طويلة وسرعان ما يتسلل إليه العطب كفاكهة الموز مثلاً.

ومنها فتوى رؤية الأهلة، تلك المشكلة التي أعضلت الأمة على بساطتها فكل دولة تنفرد برؤية الهلال رؤية مستقلة عن غيرها من الدول، وحدث من جراء ذلك اختلاف عظيم حتى أشكل على من يسكن في الدول غير المسلمة. وبات هذا الأمر يقضُّ مضاجعهم فكل منهم يتبع رؤية بلاده فتجد الرجلين في البلد الواحد أحدهم يصوم بناء على فتوى الرؤية من بلاده والآخر يُفطر للسبب ذاته. ونستطيع أن نحمل حديث رسول الله ﷺ على علة الأمية وعدم توفر المراصد في ذلك الأوان حيث قال:

((الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم عقد إبهامه في الثالثة فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن أغمي عليكم فاقدروا له ثلاثين)) [(١)].

وقال ﷺ: ((إنا أُمَّة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين)) [(٢)].

---

(١) صحيح مسلم ج٢/ ص ٧٥٩ ورقمه ١٠٨٠.

(٢) صحيح مسلم ج٢/ ص٧٦١ورقمه ١٠٨٠.

أما اليوم وقد تطور علم الفلك وعلم الحساب وأصبح من الدقّة بحيث يقوم بحساب أوقات الأهلة لسنة قادمة. ولو لم نأخذ بالفلك وأخذنا بالأهلة تعبُّداً فإن تطور وسرعة وسائل الاتصال اليوم جعل من السهل توحيد الرؤية في جميع أنحاء العالم وتعميمها في لحظات.

ومنها فتوى عدم جواز البناء في منى لأدوار متعددة ومع ازدياد عدد الحجيج يحتّم على العلماء إعادة النظر فيها بما يحقق المصلحة ولا يتعدى على قدسية شعائر الله.

هذا وإن الحكام من أحوج الناس كذلك لاتخاذ القرار، وانتقاء البطانة الصالحة التي تعينهم على اتخاذ القرار السليم. وإن مما يؤسف له أن تبتغي تلك البطانة عرضاً من الدنيا فتكتم الحق، ولا تحسن المشورة وهذا ما ابتلي به كثير من قادة وحكام العصر الحديث والله المستعان.

ولا يخفى على كل ذي لُبٍّ وبصيرة كم تشتد حاجة الطلاّب في هذا العصر - عصر التخصصات - إلى اتخاذ قرار صائب، حتى لا يترددوا في حسم الأمر في اختيار التخصص المناسب، فلطالما تردد كثير من الطلبة؛ فيختار أحدهم ذلك التخصص لأن والده أرغمه

على اختياره، أو لأن صديقاً له امتدحه، أو لاعتقاده بمستقبل زاهر له، وإقبال سوق العمل عليه. فيدخله لفترة وجيزة - وقد تطول- ثم يتبين له زيف ما قيل له عنه، أو عدم مناسبته له، أو صعوبته وعدم مقدرته الاستمرار فيه فيتركه ذاهبا إلى غيره. ولو أنه أحكم دراسة الأمر، وعرف مستواه، وقدراته، وموارده لما كان منه ذلك التردد.

وقد نسمع عن مؤسسة فشلت أو شركة أفلست، إما لسوء التقديرات، أو لقلة الموارد، أو لعجز في الميزانية . . إلخ.

ولاشك أن كل فرد قد تعنُّ له أمور، وتستجدُّ له أحداث، يقف أمامها في حيرة من أمره، قد تشعَّبتْ به السبل وكثرت عليه تكاليف الحياة ومتطلباتها.

فالحل الأمثل لكل هؤلاء، هو الحكمة المتبصّرة، والفكرة الناضجة، والنظرة البعيدة، لتسْلم قراراته من التهوُّر في اتخاذ القرار، والتسرُّع في الأحكام.

أهميـــة القـــرار

القرار هو أحد مخرجات عقل الإنسان الناتجة عن عملية إدخال المعلومات ومعالجتها من حيث القبول والرد. فهو نتاج لابد منه لأي إنسان.

وتكمن أهمية القرار في أن الإنسان قد خلق ليتعبد الله بقراراته الفعلية والقولية. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالقرار هو مادة اختباره في هذه الحياة بل هو العبادة لأن العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة وذلك هو مقصودنا بالقرار. والإنسان رهن قراراته، فحياته كلها متوقفة بعد قضاء الله وقدره عليها، يرسم بها حياته ويشكلها وتسير أموره كلها في دنياه بناء على نتائجها فيتعلق نجاح التاجر في تجارته بعد توفيق الله باتخاذ القرار المناسب في عقد الصفقات المناسبة وطرق العرض والطلب والإعلان عن السلعة. وتتعلق حياة امرأة في ارتباطها بزوج معين بقرار منها، ويتغير مستقبل شخص ما بناءً على قرار اتخذه.

وكذلك الحاكم والمحكوم والموظف والمدير وغيرهم فالقرار هو اللبنة الأساس التي يبنى عليها العمل فإن وضعت في مكانها المناسب قام فوقها البناء صحيحاً وإلا تخللتْه العيوب والنقائص التي قد تصل إلى نقضه وإعادة البناء.

وأبعد من ذلك كله فإن موقف العبد وحياته الأخروية في مراحلها الثلاث الباقية (البرزخ ـ القيامة ـ الدار الآخرة) ينبني على قراراته أصاب فيها أو أخطأ.

فحياة البرزخ بنعيمها وعذابها وتفاوت الناس فيها بين هذا وذاك هي نتاج المحاسبة على قرارات الإنسان. وكذا في الموقف فشدته أو يسره يعتمد بعد عفو الله على ما صدر منه من قرارات في دنياه. ولا يتبوأ مقعده من الجنة ولا يصعد في درجها بعد فضل الله وكرمه إلا بحاصل قراراته، قال عز من قائل: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]. فالقرار هو مادة اختبار الإنسان في هذه الحياة وهو ما يسأل عنه الفرد يوم القيامة وتبنى عليه

سعادته العاجلة والآجلة لذا فهو مطالب بتحسين قراراته الفعلية والقولية. ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢].

وقرارات الإنسان الفعلية ما هي إلا نتاج قراراته القولية أو المختمرة في عقله بغير إقرار(النية) قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٨].

فيجدر بالمسلم ألا يُقدم على قول أو عمل إلا بما فيه مصلحة له وموافقة لشرع الله.

نظريات اتخاذ القرار وتطبيقها على القرارات الفردية

تسهم نظريات اتخاذ القرار مساهمة فعالة في تحديد المشكلة وإيجاد الحلول. وتلقي الضوء على مجموعة البدائل المتوفرة ، وبالتالي فهي تساعد بشكل ملموس في ترشيد سلوك الإنسان، وتُسفر عن قرارات تتميز بالحكمة والتفكير المنظم، وقد طُبّقت هذه النظريات بأساليب علمية فنجحت وآتت ثمارها بشكل واضح للعيان على المستوى التعليمي والسياسي والتجاري ولكنها لم تمارس على المستوى الفردي والعام ، ونحن هنا في هذا البحث نحاول الاستفادة منها في هذا المجال فالحكمة ضالة المؤمن . وفيها دُربة على التروّي ، وتقمص شخصية العاقل الحكيم صاحب النظرة البعيدة المتأنية . فلماذا لا يستخدمها الفرد في قراراته اليومية ففي ذلك رياضة للعقل وتوسيع لأفقه ومداركه وتعلمه بعد النظر، والتحكم في العواطف والمشاعر فلا يتأثر بها القرار لدرجة الإضرار وتؤدي به إلى التهور والتسرع في اتخاذ القرارات وقد نهى الله تعالى عن ذلك في قوله : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ

﴿ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ [المائدة: ٢]. تبين الآية النهي عن إقحام مشاعر الكراهية وجعلها مؤثرة في القرار.

وسوف نتناول في هذا الفصل ما يفيد البحث من نظريات قابلة للتطبيق على المستوى الفردي والتي تسهم في ترقية التفكير الإيجابي وتقويم سلوك الفرد. نوجز هذه النظريات في الآتي ثم نتناول كلاً منها على حدة بالشرح والتفصيل[١]:

- البرمجة الخطية (LINEAR PROGRAMMING).
- نظرية الاحتمالات (PROBABILITY THEORY).
- قرار معيار القيمة المتوقعة.
  (EXPECTED VALUE CRITERION).
- قرار معيار مستوى الطموح.
  (ASPIRATION- LEVEL CRITERION).
- معيار المستقبل الأكثر احتمالاً.
  (MOST LIKELY FUTURE CRITERIO).
- معيار مبدأ السبب غير الكافي.
  (PRINCIPLE OF INSUFFICIENT REASON).

(١) للمزيد انظر كتاب مقدمة في بحوث العمليات.

- معيار أدنى الأقصى (أقصى الأدنى).
(MINIMAX (MAXIMIN) CRITERION).
- نظرية المباريات .(GAME THEORY).
- المسار الحرج.(CRITICAL PATH).
- شجرة القرار. (DECISION TREE).

البرمجة الخطية *(LINEAR PROGRAMMING)* :

هي إحدى نظريات اتخاذ القرار وتتمثل في صياغة المشكلة[١] ثم محاولة إيجاد حل مناسب لها. وأهم النقاط المطلوب تعريفها في البرمجة الخطية هي :

١ ـ الهدف : وفيه يتم تحديد هدف المشكلة.

٢ ـ القيود : وهي العوائق التي قد تقف أمام تحقيق أو تنفيذ المشكلة.

٣ـ الثوابت : هي المفاهيم والمسلّمات التي لايمكن أن يتم الجدال بشأنها.

٤ـ المتغيرات : وتتميز بمجال أوسع من الثوابت حيث يمكن الانتقاء

---

(١) قد يختلط الفهم على القارئ في لفظ (مشكلة) فتُفهم على أنها ورطة أو معضلة، وليس هذا المقصود، إنما أقصد باللفظة تشبيهها بالمسألة الرياضية (Problem) وذلك تقريباً للأذهان لبسطها وتحليلها ومن ثمّ حلّها الحل الأمثل .

منها بما يتناسب وموارد كل شخص وقدراته وإمكانياته.

وبعد تعريف جميع هذه البنود والإجابة عليها بنزاهة ومصداقية يتم اختيار الحل الأمثل ضمن عدة حلول ممكنة.

فإن لم يخطط المرء لأموره وينظم وقته بل تركه بصورة عفوية ضاعت موارده سدى، وقل إنتاجه. بعكس من يخطط فإنه لابد وأن ينجز وينتج وإن لم ينفذ جميع مخططاته. ومن الأهمية بمكان تعريف القيود والمتغيرات والثوابت وتحرِّي المصداقية في تعريفها حتى تُقتطع من الموارد ثم يتم تنظيم الوقت المتبقي لتحقيق الهدف.

نظرية الاحتمالات :(PROBABILITY THEORY) :

تتلخص هذه النظرية في إجراء النتائج المحتملة لنشاط معين تخضع مخرجاته للتغيير على غير اتفاق مسبق وقد تكون نتائج هذا النشاط محدودة وقد تكون لانهائية.

مثال : مكعب زهرة النرد محدود العدد وممثل بالأوجه الستة للزهرة : ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

فالنتائج المحتملة عند إلقاء الزهرة مرة واحدة هو الحصول على

الرقم (٦) مرة واحدة كذلك. بينما قد نحصل على الرقم خمسة عند إلقاء زهرة النرد مرتين متتاليتين على شكل (١،٤) (٢ ،٣) (٣، ٢) (٤، ١) ولا يمكن الحصول على الرقم (٧) بأي حال عند إلقاء الزهرة لمرة واحدة[1].

تفيد هذه النظرية في اتخاذ القرارات التي تنبني على الاحتمالية إلى حد كبير، فإن إمكانية العمل لحامل شهادة جامعية في تخصص الهندسة مثلاً هي إما أن يكون مدرساً و إما أن يعمل بشركة هندسية أو أن ينشئ مكتباً استشارياً وغير ذلك من الاحتمالات الواردة في حدود تخصصه ولا يمكن بطبيعة الحال أن يعمل طبيباً أو مدرساً شرعياً، وكذلك من المستبعد أن تهبط ثروة من السماء على فقير معدم، واحتمالية حدوث ذلك أمر غير وارد، فلا بد إذن من بذل أسباب الغنى. وكذا لا يمكن لمن مات كافراً جاحداً بالله أن يدخل الجنة كما أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك في كتابه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ

(١) انظر مقدمة في بحوث العمليات ص ٤٨٣ – ٤٨٤.

ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأعراف : ٤٠]. فلا بدَّ للعاقل من بذل أسباب الفوز بالجنة وعدم التواكل. وأهم ما يمكن الاستفادة منه في هذه النظرية هو حذف الاحتمالات غير الواردة عند اتخاذ القرار وصرف النظر عنها كليةً والاستفادة من النتائج التي تدخل ضمن حيز الاحتمالية.

قرار معيار القيمة المتوقعة :(*EXPECTED VALUE CRITERION*) :

يعتبر من القرارات ذات القيمة المؤكدة نوعا ما. حيث إن المطلوب وضع قيمة مرتفعة للربح المتوقع.

مثال ١ :

عقار عرض للبيع بثمن يقدر بأربعين مليوناً به عدد من الوحدات السكنية والمعارض المؤجرة بالكامل. يدر العقار على صاحبه أربعمائة ألف ريال سنوياً. هنا قد يرى متخذ القرار الأمثل شراء هذا العقار لارتفاع عائده السنوي في حين قد يرفض آخر بحجة احتمالية تدني مستوى الإيجار وعدم ثبوته، أو خروج المستأجرين أو بعضهم. . إلخ. فعنصر المخاطرة هنا هو القبول بالشراء في ظل تلك الاحتمالات.

قد تمرُّ على الفرد أمور لا يستطيع حيالها البت الفوري أو قد يتردد لكن في ظل القيمة المرتفعة المؤكدة ينبغي عليه الإقدام والحزم.

مثال٢:

قد يفكر أحدهم في سكنى المدينة المنورة، فلو نظر إليها من حيث التطور المدني وتسهيلات المعيشة لوجد خيراً منها، لكن ينبغي على المسلم ألا يكون ذلك مبلغه من العلم، فعليه النظر إلى المستقبل البعيد والموازنة بين المصالح والمفاسد، الخسائر والمكاسب، المادية والمعنوية؛ فلو أخذ بعين الاعتبار الفضل الوارد في السكنى بها من مضاعفة الأجور، والشفاعة الخاصة لمن سكن بها، وفضل الموت بها وأن الإيمان يأرز إليها وكان قادراً على الانتقال إليها لما تردد، مع ما ورد من تعظيم الذنب فيها، فإن الحصول على الأرباح آكد من غلبة التكاليف.

قرار معيار مستوى الطموح :*(ASPIRATION- LEVEL CRITERION)* :

هذا النوع من القرارات لا علاقة له بارتفاع المنفعة وتدنّي التكاليف بل هو وسيلة مباشرة لاختيار الحل المقبول في القرارات السريعة غالباً.

مثال :

قد يقرر شخص بيع سيارته في المزاد. هذا الأمر يتطلب منه تثمينها أو وضع سعر تقديري لها، ويجب ألا يتدنى هذا السعر عن حد معين يعتبره حداً معقولاً فيه إنصاف للبائع والمشتري على حد سواء. هذا السعر يعتبر هنا هو حد الطموح، فيقول مثلاً لن أبيعها بأقل من كذا، فقد يصل سعرها إلى ما طمح إليه البائع وقد يُعرض عليه أكثر من ذلك.

كذلك الأمر في القرارات ذات النتائج المعنوية:

مثال:

دائماً ما يلجأ المسلم إلى تحصين نفسه بالأذكار ولكنه إن لم يتخذ قراراً منظماً يحسم الأمر فإنه غالباً ما يفرط في استمرارية ودوام عمله . وهنا ينبغي له أن يضع حداً للطموح فلا يقبل من الذكر مثلا بأقل من حد معين يعتبره ورداً يومياً قد يزيد عليه إن استطاع حتى يضمن لنفسه عدم التفريط فيه لما له من أهمية عظمى من الحماية من نزغات الشيطان، وحسد الحسّاد ، ومنافع التي لا حصر لها يجد أثرها في حياته وبعد مماته.

فالقرار الأمثل هنا ومستوى الطموح لدى الفرد والذي ينبغي ألا يتدنى عنه هو أوراد الصباح والمساء ففي الحديث : ((يـا ابـن آدم اذكرني بعد الفجر ساعة وقبل العصر ساعة أكفك ما بينهما)) [١].

فيكون بذلك قد ضمن لنفسه عدة أمور منها :

١- التحصين ضد الشرور المختلفة.

٢- ذكر الله والتعبد به.

٣- ألا يكتب من الغافلين.

وهكذا ينبغي أن يكـون ديـدن المـؤمن في جميـع عباداتـه ، أن يضع حداً أدنى للطموح يلتزمه ولا ينــزل عنـه ثـم إن سـنحت لـه الفرصة بالزيادة فبها ونعمت. فـإن مـن أهـم فوائـد القـرار المسـبق والتخطيط له أنه يحجز المرءَ عن الالتهـاء والانجـراف مـع مشـاغل الحياة وأعبائها الكثيرة وشهواتها المزخرفة.

---

(١) رواه الأمام أحمد في مسنده، ورقمه١٧٣٩٠ . وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

معيار اتخاذ القرار في المستقبل الأكثر احتمالاً :

:(*MOST LIKELY FUTURE CRITERION*).

يتعلق هذا القرار بالمستقبل الذي هو من علم الغيب ، حيث لا تتوفر المعلومات الكافية لاتخاذ القرار المناسب ويصبح البت فيه نوعاً من المخاطرة :

فعلى سبيل المثال دائماً ما يوجد احتمال ولو كان ضعيفاً عن سقوط طائرة أو تعرضها لكارثة ما، ومع ذلك فإن معظم المسافرين يركبونها على افتراض أن السفر جواً آمن وأسرع في الغالب[1].

ومثل ذلك ركوب المصعد، فكم من مرة توقف المصعد بمن فيه إما لعطل مفاجئ، أو لتوقف التيار الكهربائي ، وبالرغم من ذلك فإن الناس يستخدمونه على افتراض أن السلامة فيه هي القرار الأكثر احتمالاً.

كذلك الأمر في القرارات التعبدية فقد يسافر المرء ويضطر إلى الصلاة في مكان لا يعلم مدى طهارته فيصلي ويستحب ألا يسأل

---

(١) انظر بحوث العمليات ص ٥٤٤.

آخذاً بقول الرسولﷺ: ((... وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ...)) [(١)] فطهارة المكان على هذا الأساس هي الأكثر احتمالية.

كذلك الأمر فيمن دُعي إلى طعام ولو كان هذا الرجل معروفاً عنه التعامل بالربا واختلاط ماله الحلال بالحرام فالقرار هنا هو الحكم بحِلِّه طالما بني على الاحتمال الغالب وهو كونه مسلماً.

معيار مبدأ السبب غير الكافي :

(PRINCIPLE OF INSUFFICIENT REASON):

هذا النوع من القرار يتعين عند عدم توفر معلومات كافية لتحديد احتمالات مختلفة حول حالة ما يجعلنا نفترض حدوثها باحتمالات متساوية ثم يُتّخذ القرار الذي سيحقق أعلى عائد متوقع وأدنى تكلفة متوقعة. مثال :

أراد شخص دعوة مجموعة من الناس لوليمة عُرس وأراد تحديد كمية الأطعمة لتتناسب وعدد المدعوين. فهو لا يعلم على

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التيمم، حديث رقم٣٣٥.

وجه الدقّة كم عدد من سيلبي الدعوة منهم، فالقرار الأمثل هنا يختلف من شخص لآخر بناءً على الهدف والموارد والمتطلبات.

معيار أدنى الأقصى (وأقصى الأدنى):
: (*MINIMAX (MAXIMIN) CRITERION*)

هو اختيار أفضل الحلول الممكنة ضمن أسوأ الظروف إذ الخسارة هنا حاصلة ولابد. والحل هو اختيار أقلها خسارة، للحد من مستوى الضرر. كثير من الناس في مثل هذه الحالة يصيبهم اليأس ويتركون زمام الأمور تتفلّت من بين أيديهم فتكون خسارتهم مضاعفة في الغالب، والحل الأمثل هو محاولة دراسة الأمر والحدّ من الخسارة.

مثال :

حينما غرقت سفينة السلام ٩٨ في البحر الأحمر عند إبحارها من ميناء ضباء بالمملكة العربية السعودية متجهة إلى ميناء سفاجا بجمهورية مصر العربية يقول فواز وهو أحد الناجين كنت مع أبي في موقف حياة أو موت إذ لا بد أن يساعد واحد منا الآخر ليصعد على كتفيه لينجو ويموت هو. فقلت لوالدي اصعد على ظهري لأخرجك فنظر إلي بنظرة لا تردد فيها وصرخ (روح يا ولدي جمّد

قلبك وخلِّيك رجّال) ونزل بجسده فوقفت على كتفه وصعدت فوق السياج وقبل نزولي البحر نظرت بحثاً عن والدي في محاولة لإخراجه ولكنني لم أجده).

في هذه الحالة قد يطول وقت اتخاذ القرار مفضلاً كل منهما الآخر، أو قد يصيبهما اليأس حتى يخسرا أرواحهما معاً.

وقد كان قرار الأب (نحسبه) حكيماً وصائباً في تفضيله الابن فالأب قد أخذ حظاً من العمر واقترب من نهاية العمر الافتراضي للإنسان أما الابن فكان في العشرين من العمر ويدرس الطب فيؤمل أن يمتد أمد نفعه لأسرته وأمته ولأبيه المتوفَّى فقد يكون ولداً صالحاً يدعو له.

وقد يقع شخص مريض بين خيارين أحلاهما مرٌّ فإما أن يأخذ دواءً فيه شفاؤه من مرضه إلا أنه يؤثر على أحد أعضائه الأخرى سلباً كأنْ يؤثِّر على الكلى أو يزيد من احتمالية الإصابة بالسرطان أعاذنا الله ففي ظل ذلك لابد من دراسة متأنية للدواء وطبيعة المرض ثم يقارن بين البديلين ويختار أخف الضررين.

نظرية المباريات : *(GAME THEORY)* :

المباريات تمثل تنافساً بين طرفين على درجة من الذكاء بحيث إذا ربح الأول خسر الثاني. وتنطبق أيضاً على الحروب والغزوات حيث تنبني على رسم الخطط لمناجزة العدو لينتصر أحدهما على الآخر.

في هذه الظروف يجب دراسة الوضع بشكل شمولي مع استبعاد العوامل الخارجة عن السيطرة (inactive constrained) وهي التي لا دخل للإنسان فيها مثل هبوب الرياح، أونزول الأمطار مع أنها قد تلعب دوراً هاماً في سير المباراة لصالح فريق دون الآخر. وتنطبق هذه النظرية على التنافس بين طلبة المدارس للحصول على المركز الأول على سبيل المثال أو بين أفراد الأسرة للحصول على جائزة معينة.

أسلوب المسار الحرج : *(CRITICAL PATH).* :

يهتم هذا الأسلوب بالبعد الزمني لمشروع ما وتحديد جدول زمني لإنجازه عند تداخل الأنشطة واستخدامها لأكثر من مورد أو لجميع الموارد. عندئذ لابد من التخطيط والجدولة للحصول على أعلى درجة من الكفاءة وتقليل معدل الهدر في الموارد إلى أقصى حدٍ ممكن.

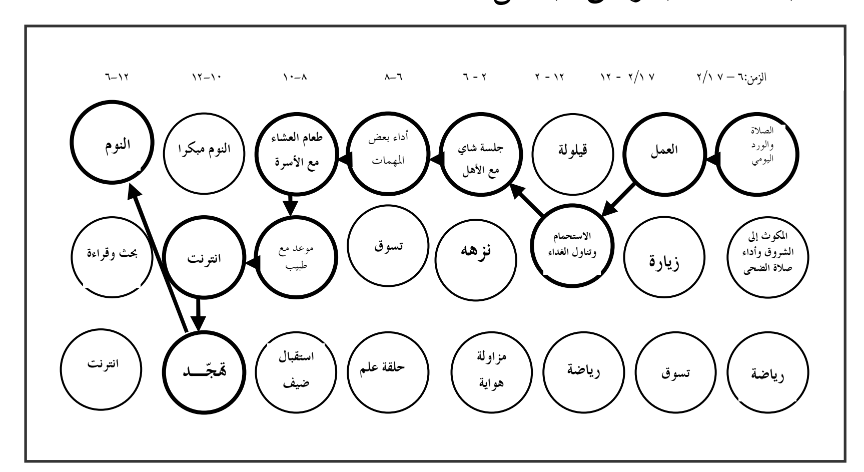
وهذا الأسلوب يتميز بالإنصاف فهو يعطي كل نشاط حصته

من الموارد فلا يستأثر بها نشاط دون الآخر خصوصاً عند شحِّ الموارد وتعدد النشاطات حيث يصبح القرار صعباً والزمن المطلوب حرجاً. ويتم التخطيط لهذا الأسلوب عن طريق التخطيط السهمي أو الشبكي.

ويعد هذا الأسلوب من أفضل الطرق في استثمار الموارد واتخاذ القرار الأمثل بشأنها.

مثال:

هذه خطه وضعت بشكل مبسط لتحسين الأداء في يوم كثير الأعباء وذلك بعرض البدائل المختلفة .



وسمي أسلوب المسار الحرج (CRITICAL PATH) بهذا الاسم لبلوغه الحد الأقصى في استغلال كافة الموارد وهي طريقة تساعد على تحسين إنتاجية الفرد والارتقاء بوعيه في تنمية إحساسه بأهمية موارده وإدارتها الإدارة المثلى وذلك بتقليل نسبة الهدر ورفع مستوى الكفاءة وتحسين عملية اتخاذ القرار ولا يخفى لكل ذي لبٍّ ما وصل إليه حال الأمة أفراداً ومجتمعات من تدني مستوى الإنتاجية وما وصل إليه كثير من شبابنا وبناتنا وكبارنا وصغارنا من مرحلة اللامسئولية والانغماس في الملهيات، وهدر الموارد، ومن ثم ضعف الإنتاج وتدني مستوى الأداء. ولا شك أن الشعور بالتقدم والنجاح وزيادة الإنتاج يؤدي إلى الإحساس بالسعادة والرضا وذلك يعد حافزاً قوياً لمزيد من الإنجاز وتحسين الأوضاع من أجل زيادة الإنتاج وتقليص كمية الفاقد من الموارد.

شجرة القرار: (*DECISION TREE*) :

هي أداة توثيق بالرسم تمثل شروطاً وتسمى متغيرات القرار (DECISION VARIABLES)، وتحدد لكل شرط قيمة معينة وتكلفة

وتحدد مساراً لكل بديل وتبين عليه كافة المعلومات من مسميات واختصارات ومفاتيح، ثم على ضوء ذلك يحدد البديل الأفضل.

مثال: **المشكلة اختيار وسيلة مواصلات :**

أراد شخص السفر من مدينة جدة إلى مدينة الرياض فوجد أمامه أربعة بدائل وهي إما أن يسافر عن طريق الطائرة جواً أو بسيارته الشخصية عن طريق مكة ـ الطائف. أو عن طريق ينبع ـ المدينة ـ القصيم أو بركوب حافلة (النقل الجماعي).

أولاً : يجب تعريف المشكلة وهي اختيار وسيلة المواصلات المناسبة.

ثانياً : يتعين عليه أن يحدد هدف القرار (اقتصادي، ترفيهي، ديني..).

ثالثاً : عليه النظر في جميع البدائل المتاحة وعدم التقيد بحل واحد.

والبدائل كما في المثال (الطائرة ـ بسيارته عن طريق مكة ـ أو عن طريق المدينة ـ أو عن طريق حافلة النقل الجماعي).

رابعا : ينظر إلى وحدة القياس التي على أساسها ربما يرجح أحد البدائل على الآخر.

فإن كان الهدف اقتصادياً فوحدة القياس هي المال، ويكون

عامل ترجيح البديل قائماً على اختيار البديل الأقل ثمناً بغض النظر عن الجهد والمشقة وهو هنا ركوب حافلة النقل الجماعي.

وإذا كان الهدف ترفيهياً، فوحدة القياس هي المتعة فيكون عامل الترجيح قائماً على اختيار البديل الأكثر متعة ويرجح بناءً على ذلك طريق ينبع للاستمتاع بالساحل والتوقف في كل مدينة للنزهة.

وإن كان الهدف دينياً، فوحدة القياس هي الحسنة ويكون عامل الترجيح قائماً على اختيار البديل الأكثر استثماراً للحسنات وقد يكون هنا هو طريق مكة للتوقف فيها والطواف أو الاعتمار.

وأما إذا كان الهدف هو سرعة الوصول، فإن وحدة القياس هي الوقت وتكون الطائرة هنا هي الخيار الأمثل.

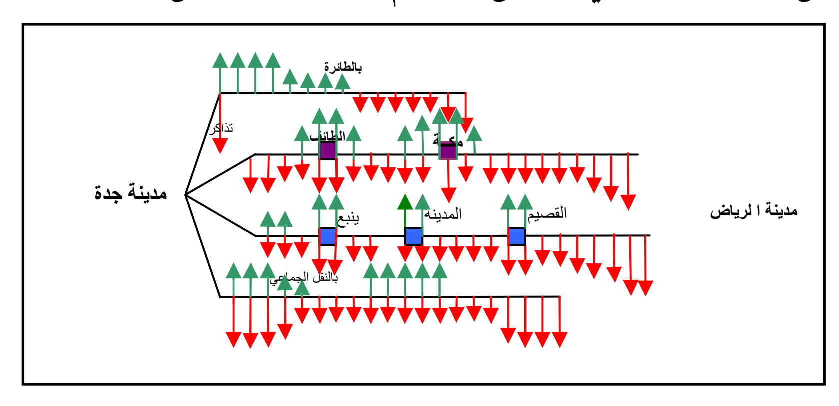
خامساً: ينبغي دراسة جميع المعوقات والمتطلبات التي تحول دون اختيار أحد البدائل فقد يكون المسافر مريضاً وصحته لا تتحمل مشقة السفر بالحافلة، عندئذ يحذف هذا البديل مباشرة ولا يعتدّ به، وينظر فيما سواه. أو قد يكون العائق مادياً فإذا كان صاحب المشكلة يشكو من ضيق ذات اليد عندئذ يستبعد البديل الباهظ

التكلفة وهو السفر بالطائرة وهكذا.

بعد ذلك يجب دراسة جميع المسارات وتقييمها من جميع جوانبها الإيجابية والسلبية، المحسوسة وغير المحسوسة على المدى القريب والبعيد. ففي مسار الطائرة مثلاً نجد بعض المنافع والإيجابيات ففي بداية الرحلة قد يجد نوعاً من المتعة والراحة في مكان جديد ومقعد وثير وخدمة مميزة وربما يتعرف على من حوله فيكتسب صداقات جديدة (وهذا ما نرمز له على المسار في الشكل بالأسهم المنتصبة إلى أعلى) وتقل هذه المنفعة تدريجياً مع الوقت وتبدأ التكلفة المتمثلة في ارتفاع قيمة التذكرة ذهاباً وإياباً وبعض أسباب عدم الراحة عند الازدحام على موقع استلام الأمتعة ثم البحث عن سيارة والاضطرار إلى دفع تكاليف أخرى كتأجير سيارة للتنقل بِحريّة (وهذا ما نرمز له في الشكل بالأسهم المتنكسة إلى أسفل) .

والأمر كذلك في بقية المسارات فلابد في بداية الأمر من الإحساس بالمتعة ثم ما يلبث هذا الإحساس يتلاشى وقد يعود شيئاً فشيئاً عند التوقف للاستمتاع بمنظر جميل كالجبال والخضرة في

مدينة الطائف والبحر والشاطئ الجميل في مدينة ينبع مع الاستمتاع بتناول الطعام. ومن المنافع الكبيرة كذلك ما يجنيه المسافر عند التوقف في مدينتي مكة والمدينة والصلاة بها أو أداء العمرة. ولابد في الرحلات جميعها من التعب والإجهاد وخاصة عند السفر عن طريق ركوب حافلة النقل الجماعي مع التفاوت في تقدير ذلك في كل طريق وهو كما في الشكل الأسهم المنتكسة إلى أسفل :



إن دراسة هذه الأمور مجتمعة هي العامل الفاعل في اتخاذ القرار الأمثل والأنسب للمسافر.

ولا يجب في مثل هذه المشكلات البسيطة رسم شجرة للقرار فهذه الشجرة هي مجرد تصميم افتراضي لما يجب أن يحدث في عقول

العقلاء عند تحليل البدائل للبحث عن الحل الأمثل، فصنع القرار يتطلب استحلاب العقل، وإثراء الخيال برسم الصور الذهنية ورؤيتها بمنظار البصيرة الثاقبة. فإن ذلك يساعد الفرد على الإلمام بجميع عناصر المشكلة في ذاكرته حتى يتخذ حيالها قراراً مناسباً مبنياً على النظرة الشاملة لا على الهوى أو المحاكاة.

فما نراه في المجتمع الآن أن فلاناً من الناس ينوي الذهاب إلى بلدة ما فهذا يقول له لقد ذهبت أنا بالطائرة فيقلده وآخر تخبره امرأته أن آل فلان قد ذهبوا بالحافلة وقد استمتعوا برحلتهم تلك فيشرع في تقليدهم والسير على خطاهم وهذا السلوك لا يُوجِد إنساناً حكيماً واعياً صانعاً للقرار.

وتشتد الحاجة إلى شجرة القرار عند تشابك المتغيرات وتعدد البدائل بحيث يكون من الصعب اتخاذ القرار الأمثل بسهولة ويسر.

واختيار الحل الأمثل حسابيا يكون كالتالي:

$$\frac{\text{مجموع الفوائد المحسوسة وغير المحسوسة}}{\text{مجموع التكلفة المحسوسة وغير المحسوسة}}$$

وعلى هذا الأساس تتم المفاضلة بين البدائل عن طريـق طـرح نسبة الفوائد من التكلفة

ثم نرصد قيمة الأرباح بطرح مجموع التكلفة من مجموع الفوائد .

فعند اختيار بديل الطائرة مثلا تكون المنافع والخسائر كالتالي:

١ ـ نسبة الفوائد على التكلفة: (B/C Ratio).

فائدة سرعة الوصول + الراحة

ـــ = ــــــــــــــــــــــ

تكلفة : ضرورة استئجار سيارة في بلد الوصول+ ارتفاع ثمن التذكرة ذهاباً وإياباً

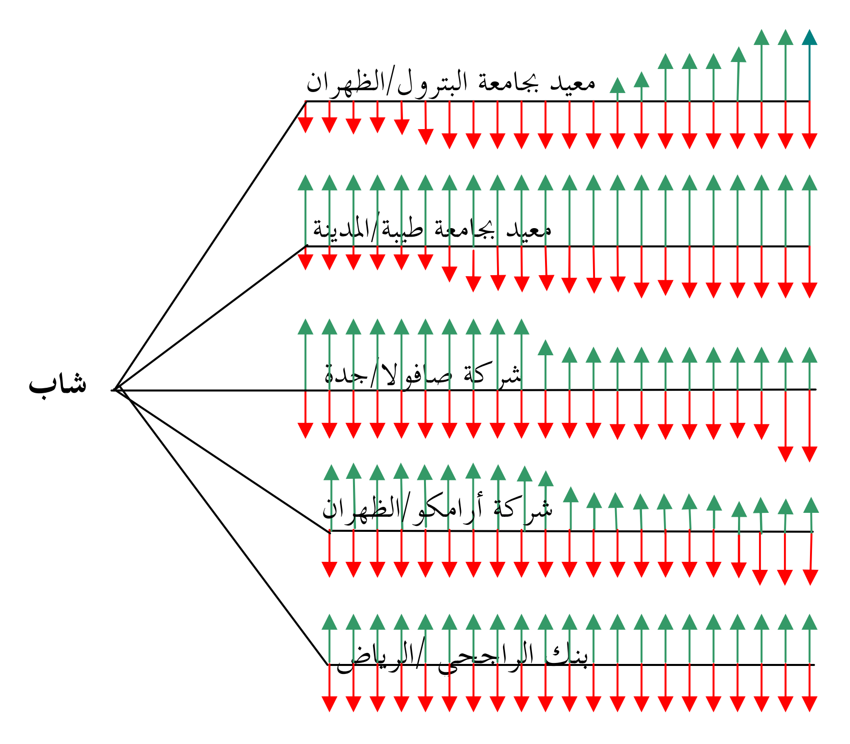
٢ ـ قيمة الأرباح = الفائدة – التكلفة.

= السرعة والراحة – تكلفة مادية = تقدر حسب وحدة قياس الهدف.

مثال آخر : **المشكلة:اختيار وظيفة :**

شاب يدرس في مدينة الظهران بجامعة البترول وعنـد تخرجـه من الجامعة ومن خلال البحث عن وظيفة عرضت عليه عدة بـدائل فهو إما أن يحصل على وظيفة مُعيد بنفس الجامعة ،أو يعمل مهندسـاً بشركة صافولا بمدينة جدة أو بشركة أرامكو بمدينة الجبيل أو ببنك

الراجحي أو بجامعة طيبة بالمدينة المنورة حيث يسكن أهله :



أولاً : عليه تحديد الهدف (علمي، مادي، أخروي . .).

ثانياً : ينظر في جميع البدائل المتاحة نظرة شاملة ليبين التكلفة والمنفعة المتوقعة لكل بديل بدقة كما ذكرنا:

مثال للتكلفة والمنفعة المتوقعة للبديل الأول (جامعة البترول)

المنفعة	التكلفة
ـ جاه ومنصب. ـ علم وشهادات عليا. ـ ترقيات. ـ تأمين السكن أو بدل السكن.	ـ بعيدة عن الأهل مما يسبب تكلفة تذاكر سفر للأهل في كل مناسبة. ـ الغربة والحنين الدائم إليهم وقد يزداد مع الزمن. ـ جهد الأبحاث وربما الأعمال الإدارية.

وعلى غرار ذلك يكون تقويم جميع البدائل. وإن كان الهدف أخروياً فيحسم الأمر وجود الجامعة بمدينة الرسول ﷺ القائل :

((من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بالمدينة فإني أشفع لمن يموت بها)) (١)، والقائل ﷺ : ((تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)) (٢).

بالإضافة إلى وجود الأهل والوالدين مما يمكنه من برِّهما والوقوف على حوائجهما.

---

(١) صحيح الجامع وقال الألباني حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري، باب من رغب عن المدينة، ج٢/ ص٦٦٣.

وهكذا يكون تقييم كل بديل على حدة، فالعمل بشركة صافولا شاق وله فترتان صباحية ومسائية ولكن الرواتب مجزية وهناك حوافز وبدلات . وكذا مدينة جدة جميلة ببحرها وأسواقها وربما يكون له فيها من القرابة ما يؤانس وحشته، كل ذلك يجب أن يؤخذ في الحسبان عند تقييم البديل.

ثم تحدد العوائق التي قد تستبعد أحد البدائل قبل إتمام دراسته كأن يكون مستواه التعليمي لا يسمح له بإكمال مرحلتي الماجستير والدكتوراه وهنا يتم استبعاد بديلي الجامعة مباشرة، وهكذا إلى أن يتم اختيار البديل الأمثل وهو الذي يحقق الفائدة الأكبر للهدف. ثم يتم بعد ذلك حساب نسبة المنافع والتكاليف لكل بديل ليسهل عليه اختيار الحل الأمثل كما في الشكل :

	اسم الجامعة	نسبة الفائدة / التكلفة B/C Ratio	الأرباح = فائدة – تكلفة P = B - C
١-	جامعة البترول		
٢-	جامعة طيبة		
٣-	شركة أرامكو		
٤-	شركة صافولا		
٥-	بنك الراجحي		

ويجب أن نعلم معنى اختيار البديل الأمثل ؟ : إن اختيار البديل الأمثل ليس بالضرورة أن يكون هو البديل الأفضل بصفة عامة، بل يدل على أنه البديل الأنسب بالنسبة للفرد بالنظر إلى هدفه ومتطلباته وموارده فما كل بديل أمثل لزيد يكون الأمثل لعبيد وذلك للاختلاف المذكور ولكنه هو الذي يحقق أكبر فائدة للهدف.

ـ **توحيد الهدف** : ينبغي للفرد المسلم أن يوحد الهدف ولا يثنّيه فهو الأفضل لاختيار الحل الأمثل وهو الأكثر إنتاجية والأوضح عند الاختيار. أما إذا تعددت الأهداف فعندئذ يصعب تحديد القرار المناسب والوصول إلى الحل الأمثل. وإن كان ولا بد من هدف آخر فليعدّه متطلباً وليس هدفاً. وديننا الحنيف يحثُّنا على توحيد الهدف دائماً قال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [القصص: ٧٧].

فهو توجيه من الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن على توحيد الهدف في أي عمل بقوله : ﴿ وَابْتَغِ ﴾ وأن يجعله الآخرة دائماً وأن يجعل الدنيا متطلباً وذلك بقوله ﴿ وَلَا تَنسَ ﴾.

وحثَّ على ذلك الرسول الكريم ﷺ بقوله : ((من جعل الهموم هماً واحداً، همَّ المعاد، كفاه الله همَّ دنياه، ومن تشعبت بـه الهمـوم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديته هلك)) [(١)].

وقال ﷺ : ((من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتتْه الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شمله ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّر له)) [(٢)].

ومعنى من كانت همه أي هدفه الأوحد وشغله الشاغل الذي يسعى لتحقيقه. قال ابن القيم رحمه الله : "إذا أصبح العبد وأمسى وليس هَمُّه إلا الله وحده تحمَّل الله حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمَّه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته. وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها،

---

(١) سنن ابن ماجة : كتاب الزهد / باب الهم بالدنيا حديث رقم (٤١٠٦) ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٣٣٠) .

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، (٤/ ٦٤٢)، ورقمه (٢٤٦٥)، سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٧٥)، ورقمه (٤١٠٥) وصححه الألباني.

ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره؛ كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف:٣٦]"[1].

(١) ابن القيم، الفوائد (ط٢)، (ص١١٠).

مجالات القرار

١) القرار في حالة التأكد :

يسهل اتخاذ القرار عادة إذا توافرت معلومات كاملة عن جميع أطراف المشكلة المراد حلها ويكون القرار في هذه الحالة مؤكداً في الغالب طالما أنه مبني على العقل والحكمة لا على الهوى والشهوات وحظوظ النفس.

مثال : لديك معلومات مؤكدة عن منتج معين أن هذا المنتج رديء الصنع وعمره الافتراضي قصير ويتطلب صيانة دورية، وهناك منتج بديل جيد الصنع لا يتطلب صيانة مستمرة وعمره الافتراضي يمتد لسنوات عدة. في ظل هذه المعلومات المؤكدة يكون القرار واضحاً ومؤكداً وهو اختيار المنتج الثاني بلا تردد، وإن كان باهظ التكلفة بالنسبة للآخر في ظل عدم وجود بديل سواه وهذا هو الحل الأمثل. وقد يتدخل الهوى فيفسد قراراً كهذا، وذلك حين يختار البديل الأول لأنه يريد دعم تلك الشركة أو خسارة الأخرى على سبيل المثال.

ومثال آخر : هب أنك خُيرت بين أن تكون من أحد فريقين عند الله، السابق أو الظالم لنفسه، حيث في الحالة الثانية تتمتع بشهوات هذه الدنيا الفانية بدون قيد، فلا يحكمك فيها أمر، ولا يردعك نهي، ثم يكون الحساب عسيراً وتُدعى إلى جهنم حسيراً. بينما تكون في الحالة الأولى مقيَّداً بحدود لا تتعداها وتجاهد نفسك عليها ثم تنقلب غداً مسروراً، وتلقى في الجنة حبوراً. إن العاقل بلا شك سيختار مسار السابق بالخيرات لقلة التكلفة قياساً إلى عظمة الأرباح. وهذا أيضاً بلا شك هو القرار الأمثل وهو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ولا مجال فيه للنقاش لكن هوى النفس قد يفسده بناءً على المغريات العاجلة التي تشكل قوة جذب شديدة تجعله يضعف أمامها فيختار البديل الثاني أو يسير في طريقه غافلاً.

٢) **القرار في ظل المخاطرة.**

٣) **القرار في ظل عدم التأكد.**

يبقى القرار في حال المخاطرة وكذلك عند عدم التأكد غير ثابت القيمة وغير محدد الأرباح والتكلفة. ولا يعني ذلك الجهل

التام بالمشكلة بل يمكن أن تتوفر معلومات جزئية ولكنها غير كافية لاتخاذ القرار الأمثل فيكون القرار فيها مجازفة قد تخطئ وقد تصيب. وخير مثال نضربه هنا لمن اقتصر على الحد الأدنى من العبادة، ولم يكن له من السنن والنوافل نصيب. فالاقتصار على الحد الأدنى من العبادة يدخل فيه عنصر المخاطرة لعدم التأكد فقد تُقبل منه كاملة وقد يقبل بعضها وهو الغالب؛ فهو بذلك يعرض نفسه للعذاب وعظم التكلفة لذلك قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[البقرة: ١٩٧].

ولذلك شرعت السنن، لجبر النقص، وإتمام الأجر.

وهكذا ينبغي لكل فرد دراسة قراراته بشكل دقيق بناءً على النظرة البعيدة والشاملة.

وهنا ينبغي دراسة حساسية المعلومة وأهميتها في تفعيل القرار دراسة تحليلية (sensitivity analysis):

فقد تكون بعض المعلومات بشأن مشكلة ما غائبة وغير كافية وقد يكون هناك نوعٌ من الخطورة. في هذه الحالات يجب تحليل المعلومات قبل البتِّ في الأمر وإصدار القرار وبذلك

نستطيع تقييم المعلومة الغائبة أو ذات الخطورة وقياس مدى حساسيتها وتأثيرها على القرار وذلك عن طريق :

١- تثبيت جميع المتغيرات باستثناء المعلومة المراد تقييمها.

٢- وضع جميع الاحتمالات من ٠ - وحتى أعلى رقم ممكن يرتبط بالمعلومة.

عند دراسة الأمر يتضح مدى تأثير تلك المعلومة ومدى فاعليتها أو جدواها فإن اتضح أن لها تأثيراً جوهرياً في القرار عندئذ تؤخذ هذه المعلومة في الاعتبار ويحسب حسابها في اتخاذ القرار.

مثال :

أراد أحدهم بناء منزل للأسرة وقدَّر قيمة التكلفة بمليون وخمسمائة ألف ريال سعودي. أخذ يدرس بعد ذلك إمكانية توفير المبلغ من مصادر مختلفة، كانت هناك معلومة ناقصة وهي قرب حصوله على قرض من صندوق التنمية العقاري بمبلغ ثلاثمائة ألف ريال فهل يضع هذه المعلومة الغير مؤكدة في الاعتبار وهل وجودها

من عدمه سيؤثر جذرياً في اتخاذ قرار بشأن بناء المنزل أو تأجيله.

١ـ تثبيت جميع المتغيرات باستثناء تلك المعلومة.

٢- جميع الاحتمالات الواردة بشأن تلك المعلومة هي الحصول ٠ـ٣٠٠ معنى ذلك أنه قد يحصل على القرض وقيمته ثلاثمائة ألف أو قد لا يحصل على شيء البتة.

٣- حصر جميع المصادر لتغطية التكاليف فإن توفّرت بدون الحصول على القرض فإن تلك المعلومة غير المؤكدة لا تأثير لها في القرار، وإن وُجد أنه لا مناص من انتظار القرض لتغطية المبلغ فالمعلومة إذن فاعلة ويجب أخذها بعين الاعتبار لتفعيل القرار.

مثال :

أراد شاب الزواج وكان يملك قطعة أرض عرَضها للبيع مؤخراً، فهل لهذه المعلومة تأثير في قرار زواجه ؟ علماً بأن تلك الأرض قد تباع بالمبلغ الذي طلبه فيها أو بأقل منه، وقد لا تباع. فيبقى القرار هنا فيه نوع من المخاطرة فقد لا يستطيع إتمام زواجه وهنا لابد من تحليل تلك المعلومة ودراستها.

١- تثبيت جميع المتغيرات.

٢- وجد أن جميع الاحتمالات الواردة بشأن الأرض تتراوح بين ٠ـ ١٤٥٠٠٠ ريال.

٣- بعد حصر جميع أملاكه وجد أنها لا تفي بتكاليف الزواج من صداق وهدايا وسكن وغيره. فهذه المعلومة إذن بالغة الأهمية والتأثير في قرار زواجه وعليه أن يجدّ في محاولة بيعها لتيسير زواجه.

القرار في الكتاب والسنة

اقتضت حكمة الباري سبحانه وتعالى إيجاد الجنس البشري الذي كان آدم عليه السلام وزوجه حواء أول مكوناته على هذه الأرض. إذ خلقهما بداية في الجنة ثم أهبطهما إلى الأرض وجعل لقصتهما آية بيّنة ومثلاً واضحاً تتجلّى فيه حكمته جل وعلا في خلق البشر؛ فلقد خلقهما وأسكنهما الجنة ينعمان بنعيمها الذي لا ينفد، ولا يعروه الفساد، ولا تطرأ عليه الآفات، وقد ثبّت لهما فيها جميع المتغيرات إلا عاملاً واحداً فقط ترك لهما حرية اتخاذ القرار فيه ألا وهو الشجرة، وبيَّن لهما فيها الحق والصواب وذلك بتحذيرهما من الاقتراب منها، فالعامل المتغير الوحيد هو تلك الشجرة إذ قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥]. واقتضت حكمته سبحانه خلق إبليس ليزيِّن لهما العصيان والمخالفة وذلك لاختبار طاعتهما واتباعهما لمولاهما. كما اقتضى عدله سبحانه وهو الحكَم العدل تحذيرهما كذلك من مغبَّة اتباع إبليس وأنه

عدو مضل مبين. فصدر لهما في ذلك أمران متلازمان :

١ ـ عدم الاقتراب من هذه الشجرة والأكل منها.

٢ ـ عدم اتباع إبليس والاغترار بأقواله المضللة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه ١١٦ـ١٢١].

ولما كانت الأمانة ثقيلة على بني البشر، وكان الإنسان ظلوماً جهولاً؛ فقد أخفق آدم عليه السلام وزوجه في هذه المهمة أمام إغواء إبليس وإغراء الشجرة.

نعم لقد أخفقا في اتخاذ القرار السليم وهو اتباع أمر خالقهما وعصيان إبليس.

والذي يظهر لي من هذه القصة أنها بحق أنموذج أراد الحكيم سبحانه وضعه للبشرية جمعاء لبيان صعوبة المهمة، وثقل الأمانة، وذلك على الرغم من تثبيت جميع المتغيرات كما أسلفنا فالمسكن مكفول وهو الجنة ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] والرزق مضمون بدون عمل ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ [طه : ١١]، والكساء موجود بضمان قوله : ﴿ وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ والجنة خالية من الآفات فلا مرض ولا عمل يجرُّ التعب والنصب فالحياة مستقرة آمنة من كل وجه. ولم يكن أمام آدم وزوجه إلا دائرة صغيرة جداً لاتخاذ القرار متمثلة في ذلكما الأمرين ومع ذلك فإنهما لم ينجحا في اتخاذ القرار السليم، فكيف بنا وقد تحررت جميع المتغيرات وأصبح العبد أمام قدر هائل من الأوامر والنواهي يقارب الألف أو يزيد. فليت شعري ما أكثر من أخفق وما أقل من فاز مع أن الله تعالى ينادي في الناس : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧] فما أكثر من افتتن نسأل الله السلامة والنجاة وفي ذلك قال ﷺ في الحديث القدسي: ((يقول الله تعالى : يا آدم، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول :

أخرج بعث النار، قال وما بعث النار، قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)) (١).

فالمسلم في هذه الحياة أمام مجموعة من الأوامر والنواهي من لدن خالقه العظيم وهو كذلك أمام قدر هائل من المغريات يزينها إبليس وجنوده وهواه ونفسه الأمارة بالسوء وصدق القائل :

إني بليت بأربع ما سلّطوا إلا لشدة شقوتي و عنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف السبيل وكلهم أعدائي

فالطريق واضح جليّ ولكنه شائك غير ممهَّد إلا لمن وفقهم الله لسلوكه. والذين وفقهم الله لسلوكه وصَفهم في كتابه الكريم بأولي الألباب، وذلك يدل على ضرورة إعمال العقل وقدح الفكر للوصول إلى الحل الأمثل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٨].

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج،ص ١٢٢١، ورقم الحديث ٣١٧٠. وأخرج مسلم نحوه في الصحيح، كتاب الإيمان، باب قول الله لآدم أخرج بعث النار من كل. . ص ٢٠١، ورقمه ٢٢٢.

فحقيقة الاختبار والابتلاء تكمن في اتخاذ القرار الأمثل بشأن تلك الأوامر والنواهي لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧].

فلفظ ﴿أَحْسَنُ﴾ في الآيات السابقة هو ما نعنيه بالقرار الأمثل وهو ضرورة تحري الأمثل في العمل. ومن فضل الله وكرمه على عباده أن أمدَّ كل فرد بقدر من الموارد تساعده في المهمة التي خلقه من أجلها وهي العبادة فقال رسوله ﷺ: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن عِلمه ماذا عمل فيه)) (١)، وقال ﷺ: ((اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)) (٢).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٦٠-٦١)، واللفظ له، والبزار في مسنده رقم (٢٤٣٧)، وهو صحيح بشواهده، وذكر نحوه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٣٠٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦)، عن ابن عباس وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكر نحوه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٧٧).

وقال عليه الصلاة والسلام : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ)) [١].

باستطاعتنا الآن أن نلخص هذه الموارد في الآتي :

١- **العمر متمثلاً في الوقت، وأخصّه وقت الشباب والفراغ.**

٢- **المال.**

٣- **العلم.**

٤- **الصحة** [٢].

لقد شهدت علوم الإدارة والتخطيط وعلم صناعة القرار في القرن الحالي تطوراً سريعاً حتى استطاع الإنسان أن يزيد من إنتاجية الموارد الطبيعية كالمياه والبترول والغاز والمعادن وغيرها إلى درجة كبيرة جداً قد تصل أحيانا إلى أكثر من ٩٠ ٪، ومازالت تُبذل كثير من الجهود والأموال والأوقات لزيادة إنتاجية هذه الموارد، وأصبحت هناك منهجية علمية تستخدم في إدارتها وتخطيطها لتقليل معدّل

(١) رواه البخاري عن ابن عباس ورقمه (٦٢٦٥) .

(٢) انظر كتاب الاستثمار الأمثل وعوائده ص ٣٠.

الهدر، وزيادة كفاءة استخدامها. ولكن كم هو مؤسف أن تجد هذا الإنسان نفسه الذي وصل إلى أعلى درجات الإدارة والتخطيط لاستغلال الموارد الطبيعية، هو أبعد ما يكون عن هذه المنهجية في إدارة موارده الخاصة التي سيسأل عنها يوم القيامة وهو في إدارتها أقرب ما يكون إلى العشوائية، مع أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يحثان على ضرورة استثمار الموارد وتوظيفها بطريقة مثلى لترشيد سلوك الفرد وتحسين أدائه في هذه الحياة.

فقد قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] فهو يقوِّم سلوك الفرد ويُعينه على تحسين أدائه. وقد سئلت عائشة(١) رضي الله عنها عن خُلُق الرسول ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن) (٢) فقد كان يتأدَّب بآدابه ويتخلَّق بأخلاقه، فما مدحه

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، ولدت في الإسلام وكانت أفقه نساء المسلمين وأعلمهن، روي عنها عشرة ومائتان وألفا حديث (٢٢١٠)، وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين (٥٨هـ) انظر سير أعلام النبلاء ج/ ٢ ص١٣٥.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد (ج/ ٤٢ ، ٢٥٣٠٢) ، وقال الأرناؤوط صحيح على شرط الشيخين .

القرآن كان فيه رضاه وما ذمَّه كان فيه سخطه[1] وما أمره به امتثله وما نهاه عنه انتهى عنه.

وقال جل شأنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ولفظ ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ هنا يدل دلالة واضحة على جميع ما أوتي الفرد من موارد تشمل المال والعلم والوقت والصحة والعقل وربما الأبناء والزوجة ...

كما يدل لفظ ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ على الاختيار الذي ابتلي به الإنسان وذلك في كونه مخيراً وله حرية التصرف فيما آتاه الله، والقرار عائدٌ له في الاختيار بين البدائل المتاحة.

ويؤكده قوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وللبشر طاقات وقدرات محدودة ولهم متطلبات تقتضيها طبيعتهم البشرية لا بد لهم منها، فمن ذلك:

١- **متطلب بدني**: من مأكل ومشرب وراحة للبدن ((فإن لجسدك

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص١٤٨.

عليك حقاً)) [(١)].

٢- **متطلب اجتماعي**: القيام على أمور الأهل والأولاد ورعايتهم وصلة الأرحام وما إلى ذلك : ((إن لزوجك عليك حقاً))، ((إن لولدك عليك حقاً))، ((إن لزورك عليك حقاً)) [(٢)].

٣- **متطلب مالي** : ومنه السعي في طلب الرزق لاستيفاء الاحتياجات الأساسية من طعام وشراب وملبس ومسكن.

٤- **متطلب ديني** : وهو الفروض والواجبات المطلوبة من المسلم شرعاً (الفروض والواجبات) وتتراوح بين حد الإجزاء وحد الكمال.

كما أن هناك حداً أعلى (لا يعتبر من المتطلبات) وهو مبنيٌّ على الوسع والطاقة بحسب الضوابط الشرعية التي يجب ألا يتعدّاها؛

---

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فإنه كان يصوم الدهر ويقوم الليل أبداً، فلما أعلم النبي ﷺ بذلك قال له : ((لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، (وإن لزَوْرِك [أي ضيفك] عليك حقاً)، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله)) رواه البخاري في الصوم رقم (١٩٧٥) وزاد مسلم ((وإن لولدك عليك حقاً)) في صحيحه في الصيام رقم (١١٥٩)..

(٢) التخريج السابق.

فلا يستطيع العبد مهما بلغ من العبادة أن يتعبّد الله بأكثر مما حدد له في الشرع، فلا يستطيع أن يصوم الدهر مثلاً، أو أن يصلي في أوقات النهي إلا بشروط، أو في حال الجنابة أو الحيض والنفاس للمرأة، ولا يسعه شرعاً أن يوصي بأكثر من ثلث ماله(١).

وثقل الأمانة (والله أعلم) يكمن في صعوبة الاختيار بين المتغيرات المتعددة مع قوة الجذب الهائلة من قبل المغريات .

وقد بين الله تعالى البدائل المتاحة للفرد والناتجة عن قراراته إذ قال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[فاطر: ٣٢].

فالعبد مخير في كل أمر أو نهي وله في الحقيقة مجالات متفاوتة وواسعة الاختيار فكل أمر أو نَهْي له حدٌّ أدنى وحدٌ أعلى يُطلق عليه في علم الإدارة لفظ القرار المتغير (Decision variable) وذلك بناءً على كون الإنسان مخيراً فيه حتى بين الإيمان والكفر. ولنأخذ مثالا على ذلك

---

(١) انظر كتابنا الاستثمار الأمثل، ص ١٤ .

(الصلاة) كم هي متفاوتة الأداء بين شخص وآخر بناءً على موارده وقدراته وقناعاته ومتطلباته فالناس في أدائها متفاوتون :

فمنهم من لا يصلي.

ومنهم من يصلي بعضاً من الفروض.

ومنهم من يصلي الفروض وحدها.

ومنهم من يزيد على ذلك بالنوافل.

حتى الصلاة في حد ذاتها يتفاوت مؤدوها كل التفاوت :

فمنهم من لا يقيم حدودها ولا مواقيتها.

ومنهم من يسهو فيها.

ومنهم من يقيمها ويخشع فيها.

بل وانظر إلى التفاوت بين من يؤديها في منزله ومن يدرك ركعة أو أكثر مع الجماعة، إلى من يحرص على تكبيرة الإحرام بل إلى من يشتد حرصه على الحضور إلى المسجد وقت الأذان، فإننا نرى اليوم تفريطاً بيِّناً في الفروض في أوساط الشباب وما ذلك إلا لترك النفس ترتع مع الهوى وعدم دراسة الأمور والنظر في عواقبها.

و يجب أن يكون المسلم صاحب قرار، ويعلم أن الله ميَّزه

بالعقل عن البهائم ليُعمل عقله، ويُقلّب فكره، وينظر في العواقب، ولا يترك نفسه لعبة يتقاذفها الهوى والشيطان. وجماع الرأي السديد هو توافق قرارات الفرد المسلم مع ما جاء في الكتاب والسنة، قال ﷺ: ((طوبى لمن طال عمره وحسن عمله))[1] تدل على توجيه من الرسول ﷺ إلى حسن العمل ولا يتأتى ذلك إلا بالتفكير السليم ودراسة القرار قبل تنفيذه. وترشيد السلوك هنا يكمن في الطاعة لله ورسوله. قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

فقد وضع لنا الشرع الحكيم أسساً ينبغي أن تبنى عليها قرارات الفرد بالنظر إلى دائرة تأثير قراراته. وكلما اتسعت دائرة تأثير القرار، زادت أهميته، وازدادت مسؤولية صاحبه عند الله.

وعلى ضوء تلك الأسس من الكتاب والسنة ينبغي أن تحدد قرارات الفرد، ولعل أول دليل ينبغي الاستناد إليه في إصدار أي

---

(١) شرح السنة، ١٢٤٥ج٥،وقال الأرناؤوط إسناده صحيح.

قرار على الإطلاق صَغُر أم كَبُر هو قول الرسول ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم ((لا ضرر ولا ضرار)) [1] فالضرر هو ما تضر به صاحبك مما تنتفع أنت به ، والضِّرار أن تضره من غير أن تنفع نفسك[2]، ويحتمل كذلك المعنى أن تضر نفسك من وجه لتنفعها من وجه آخر فيه ظلم عليها. لأن ظاهر الحديث تحريم جميع أنواع الضرر إلا بدليل لأن النكرة في سياق النفي تعم[3] فكم من أناس يضرون بأفعالهم المشينة أنفسهم بالدرجة الأولى وكأنهم أعداء لها؛ فذلك الذي يشرب الدخان أو الشيشة أول من يتضرر من فعله هو نفسه التي بين جنبيه، فأي قرار قد يكون تأثيره سلباً على النفس والضرورات الخمس ـ التي هي النفس والمال والعقل والدين والعِرض أو النسب ـ أو على الغير فإنه ينبغي أن يستبدل ويستبعد.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الأقضية باب القضاء في المرفق، (٢ / ٧٤٥) ورقمه ٣١. وأخرجه ابن ماجة في السنن (٢/ ٤٨٤) ورقمه ٢٣٤١.

(٢) شرح سنن ابن ماجه ج١/ ص١٦٩.

(٣) عمدة القاري ج٩/ ص١٩٥.

فهي قاعدة وركيزة ينبغي الاستناد إليها في جميع الأمور، ومن الأحاديث العامة في شأن تقويم القرار والتبصر فيه قبل إصداره قوله ﷺ : ((إياك وكل أمرٍ يُعتذر منه)) [١].

وما أقدم عليه الغرب من تطاول على الرسول الكريم وحجتهم في ذلك حرية التعبير، حرية أضرت بأمة بأكملها وأضرت ببني جنسهم من تجار ومن لهم مصالح مع المسلمين حتى ألجأهم ذلك إلى الاعتذار، وفي ذلك دليل واضح على فساد القرار وسوء الاختيار.

وينبغي للمسلم أن يحاكم قراراته بقدر استطاعته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال أحد السلف (إن استطعت ألا تحكَّ رأسك إلا بأثر فافعل) ففيهما قوام الحياة المثلى للفرد والمجتمع، كيف لا وهو شرع الخالق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك١٤].

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ

(١) صحيح الجامع وقال الألباني حديث حسن.

عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٨].

ولعل من أهم العلوم التي ينبغي للفرد تعلُّمها هـو دينـه ، لأن له كما أسلفنا أعظم الأثر في تحسين قراراته، نذكر منه على سبيل المثال بعض الأدلة المتعلقة بالقرار:

١ـ من أدلة القرار الفردي :

قوله تعـالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥].

تضمنت الآية الكريمة الأمر بحماية الـنفس وعـدم تعريضـها للهلاك من جراء القرارات العشوائية. والأمر بالإحسان في كل قرار صغر أم كبر.

وقوله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف : ٣١].

وهنا أمر للرجُل بالتزيُّن ولبس أحسن الثياب والتطيـب عنـد الصلاة والأمر بالاقتصاد في الأكل والشرب وعدم الإسرف لمضرّتـه على المال والبدن.

وفي السنة قوله ﷺ : ((إن لنفسك عليك حقاً)) (١).

فما سبق وغيره كثير يستنير به الفرد عند اتخاذ أي قرار يخصه فلا يظلم نفسه أو يبخسها حقها.

٢ ـ أما فيما يتعلق بعلاقة الفرد بالآخرين فنختار من الأدلة ما يلي :

أ ـ مع الوالدين :

قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء : ٢٣ـ ٢٤].

وهنا يأمر بالإحسان إلى الوالدين وعدم إيذائهما حتى بأدنى أنواع الأذى النفسي كقول أف وهذا يتطلب الوعي التام من قبل

---

(١) جزء من حديث أخرجه ابن حبان في صحيحه، ورقمه ٣٦٣٨ وقال الأرناؤوط صحيح على شرط مسلم.

الأبناء ودراسة كل قرار ولو بالتلفظ السيء الناتج عن ثقل الأعباء.

ب ـ مع الأبناء :

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم: ٦].

يأمر ولي الأمر بنصح أبنائه وزوجه ومن هو قائم عليهم بأوامر الدين حتى ينجوَ وإياهم من النار.

وقال ﷺ : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته. – قال : وحسبت أن قد قال – والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته)) (١).

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١ ﴾ [الإسراء: ٣١].

---

(١) صحيح البخاري ج١/ ص٣٠٤ورقمه ٨٥٣.

تقويم قرار قتل الأبناء خشية الفقر الذي كان يتخذه الآباء في الجاهلية وينبني عليه كذلك قرار تحديد النسل لذات السبب.

ج – بين الأزواج : قول الرسول ﷺ : ((إن لزوجك عليك حقاً)) (١).

((... وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك ...)) (٢).

وفي الحديث: ((لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر ،أو قال، غيره)) (٣).

وقال: ((ألا أخبرك بخير ما يُكنَز : المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرَّتْه وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته)) (٤).

د ـ مع الأقارب : قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد:٢١].

وقال ﷺ: ((من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره

---

(١) سبق تخريجه ص٨٠.

(٢) صحيح البخاري ج٣/ ص ١٠٠٦ ورقمه ٢٥٩١.

(٣) صحيح مسلم ج٢/ ص١٠٩١ورقمه١٤٦٩.

(٤)المستدرك على الصحيحين ج١/ ص٥٦٧ورقمه١٤٨٧.وقال حديث صحيح ولم يخرجاه.

فليصل رحمه)) [١].

وقال: ((ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)) [٢].

هـ ـ مع الجار :

قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

قوله ﷺ : ((مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه)) [٣].

---

(١) صحيح البخاري ج٥/ ص ٢٢٣٢ ورقمه٥٦٣٩.

(٢) صحيح البخاري ج٥/ ص٢٢٣٣ورقمه٥٦٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الآداب، باب الوصاة بالجار،(٤ / ١٩٠٢) ورقمه ٦٠١٥. وأخرجه مسلم في صحيحه (١٦ / ١٤٤) ورقمه ١٤٠.

وقال ﷺ : ((والله لا يؤمن والله لا يؤمن، والله لا يـؤمن)) قيـل مَن يا رسول الله ؟ قال : ((الذي لا يَأمن جاره بوائقَه)) [(١)].

و- مع الصاحب أو الصديق :

في الحديث : ((مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيَك وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة)) [(٢)].

ز- مع البيئة :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقول الرسول ﷺ: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحِدَّ أحدُكم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٤/ ١٩٠٣) ورقمه ٦٠١٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب المسك، ورقمه (٥/ ١١٠٤) ورقمه ٥٢١٤.

شفرته وليُرِحْ ذبيحته)) [١].

وقوله ﷺ: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لاإله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. . .)) [٢].

حـ - مع المجتمع من حولك:

قول الله ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، (٤/ ١٧٧٨)ورقمه٥٥٣٤.
وأخرج مسلم نحوه في الصحيح ورقمه١٤٦

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان (٢ / ٦) ورقمه ٥٨.

هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤].

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وفي الحديث القُدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالَموا ...)) (1).

ط ـ مع عامة المسلمين في أقطار الأرض قال تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (١٦/ ١٠٨) ورقمه٥٥. ونحوه عند ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٥) ورقمه٦١٩.

يشد بعضه بعضا)) [(١)].

وقال ﷺ : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)) [(٢)].

وقال : ((إياكم والظنَّ فإن الظن أكْذَبُ الحديث ولا تَحَسَّسوا ولا تَجَسَّسوا ولا تَحاسدوا ولا تدابَروا ولا تَباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا)) [(٣)].

ي- مع سائر الناس :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المائدة: ٨].

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع، (١/ ١٦٦) ورقمه٤٨١.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (١/ ٢٩) ورقمه ١٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر. (٤/ ١٩١٥) ورقمه٦٠٦٤.

أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨-٩] .

كما أن كل أمر ونَهْي في الكتاب والسنة يستدعي من المسلم اتخاذ قرار بالامتثال سواء بالفعل أو بالترك.

وأوامر الإسلام ونواهيه لا تخلو من أمرين :

أحدها : قرارات ثابتة توقيفيّة لا مجال للاختيار فيها ولا ينبغي إعمال العقل بشأنها، بل التسليم التام حيالها. فهذه تسهل على المسلم اتخاذ القرار ما دام قد اختار الإسلام ديناً.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والثاني : قرارات متغيرة، أي ذات مجال يتسع لعدة خيارات وهي التي تتطلب من العبد التفكير واختيار الأنسب مع مراعاة الظروف المحيطة والموارد والمتطلبات.

فمن الفطنة وضع خطة مسبقة، تساعد على تحسين اتخاذ القرار، مبنيّة على معلومات أكيدة في تفاوت الأجور والتخطيط لها بحيث إذا سنحت الفرصة لجني الحسنة اغتنمها ولم يخسرها.

كالتخطيط المسبق لصوم الأيام البيض من كل شهر، فذلك يجعله ينتظرها وقد يتهيأ لها بتناول وجبة السحور قبلها وإلا فاتته فغفل عنها أو نسيها.

وليس من السهل التخطيط للحصول على أفضل عائد؛ فالمتغيرات كثيرة والأجور متفاوتة أعظم التفاوت، والموارد محدودة ومتداخلة ومترابطة ببعضها البعض، والأعمال المراد إنجازها كثيرة فكل فرد تختلف موارده عن الآخر ولديه من الأولويات ما يجعله يتفرد عن غيره بخطة مناسبة قد لا تناسب أحداً سواه.

ومن أهم مميزات استقاء القرار من الكتاب والسنة أنه يرسم للفرد تأثير القرار على المدى البعيد بناءً على حقائق من علم الله السابق ليست ظناً ولا تكهنات أو احتمالات، نأخذ من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

هنا يتضح القرار الأمثل في حالة الإصابة بالمصائب وذلك ببيان نتيجته على المدى البعيد. فنتيجة الصبر البُشرى لصاحبه بما يسرُّه بالعوض له في الدنيا، والأجر الجزيل في الآخرة، وذِكر الله له والصلاة عليه في الملأ الأعلى، ونزول الرحمة عليه من ربه تحوطه وتحفه. وفوق ذلك شهادة إقرار له بالهداية من عند الله.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥]. في

هذه الآية حضٌ وإرشاد إلى الحل الأمثل عند بلوغ سن الرشد وهو سن الأربعين، وذلك بالتوجه إلى الله بالكلية قدر المستطاع وشكْر الله على نعمه منذ سِني الطفولة والشباب، وقد بيَّنت الآية نتيجة هذا القرار على المدى البعيد قال تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف : ١٦]. هنا تتكشف نتيجة اتخاذ القرار وكأنه ستار يُرفع عن عين العبد ليرى نتيجته واضحة مبهرة لا يملك إلا أن يهيئ نفسه لتطبيقه ما استطاع حتى يحوز عليه، وإن لم يتمكن من تطبيقه فإنه عندئذ لن يحرم الأجر بنيته الصادقة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ فيجزيه الله على ذلك بانتقاء أفضل أعماله أداءً وإجادةً. ولنضرب مثلاً على ذلك (ولله المثل الأعلى) : هب أن أحد طلاب الجامعة اجتاز عدداً من الاختبارات، وجاءت نتائج اختباراته متفاوتة ، فمنها الجيد، ومنها الجيد جداً، ومنها الممتاز

والمقبول بل ومنها الراسب، ولكن أستاذه قد طمأنه بأنه سيقوّم أداءه بناءً على أفضلها، فيقبل منه كل تقدير مرتفع وهي الجيد جداً والممتاز ويحذف منه ما كان أقل من ذلك، وهذا الكرم لم يصل إليه مخلوق، لكن أكرم الأكرمين يفعله وأكثر.

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠].

كثيراً ما تكررت هذه الآيات في القرآن الكريم تحث على ترشيد السلوك بشكل عام واتخاذ القرار الذي يعود بأكبر قدر من المكاسب الأخروية وهي الحسنات ويقلل من التكلفة وهي السيئات وهدر الموارد التي لا له ولا عليه.

فالكتاب والسنة من شأنهما تقويم قرارات الفرد وربطهما بالمدى البعيد الذي إليه مآله وتلك بلا شك أفضل طرق اتخاذ القرار

بل ومن أهم السبل المؤدية إلى اكتساب الحكمة، والتبصر في الأمـور، لأنها تمكن الفرد من توسـيع مجـال القـرار بنظـرة شـمولية فاحصـة لجميع جزئيات المشكلة.

الفصل الثالث

- تمهيد
- موضع اتخاذ القرار
- مقارنة بين الإنسان والحاسوب
- إمكانية (برمجة) الإنسان لاتخاذ القرارات الصائبة

تمهيد

إن تطوير آلة ما أو تحسين أدائها يتطلب معرفة أجزائها وكيفية عمل كل جزء فيها. والإنسان عبارة عن مجموعة من الأجهزة التي تعمل مع بعضها البعض لتشغيل هذا الإنسان.

وحينما توصل الأطباء إلى كيفية عمل القلب على سبيل المثال، استطاعوا محاكاته في شكل قلب صناعي، وبسبب ذلك حدثت ثورة طبية عظيمة في مجال تطوير عمليات القلب. وتمكنوا بذلك من فتح الصدر وإخراج القلب من مكانه وإيصال الشرايين بالقلب الصناعي لحين إصلاح القلب البشري.

كذلك الكلى فقد توصلوا إلى اختراع جهاز يعمل نيابة عن الكلى في حين إصابتها بالفشل فينقي الدم من المواد السمية والضارة.

كما توصلوا إلى اختراع الأذن الصناعية لزيادة كفاءة السمع وعدسات لزيادة كفاءة الإبصار وغير ذلك.

ومثل ذلك تطوير وسائل النقل والإعلام وشبكات المياه وغيرها. فعملية التطوير والتحسين في أداء الآلة أو الجهاز أو النظام تبنى على معرفة خصائصه وعناصره الأولية وكيفية عملها وأسس تشغيلها.

وإننا لكي ننمي في الإنسان القدرة على اتخاذ القرار السليم وتحسين كفاءة تشغيل جهاز القرار المساعد لديه لابد لنا من دراسة مكونات تشغيل هذا الجهاز ومعرفة كيفية تشغيله فالإنسان يولد مزوداً به ولكن قليلاً من البشر هم الذين يستخدمونه على وجهه الذي يريده الله .. هؤلاء هم الذين عناهم الله تعالى بالخطاب في كثير من الآيات وسماهم أولي الألباب فقال جل من قائل :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٥].

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٨].

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴾[غافر: ٥٤].

موضع اتخاذ القرار في جسم الإنسان

خلق الله الإنسان واقتضت حكمته سبحانه وقدرته المعجزة أن يجعله من اتحاد عنصرين متقابلين :

١) **الجسد** : مادة طينية منشؤها التراب والماء.

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١].

و يحتوي هذا الجسد جميع الأجهزة العضوية. ويعتبر الجسد مطية الروح لتتكيَّف على المعيشة على هذه الأرض.

٢) **الروح** : جسم نوراني خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد والدهن في الزيتون، والنار في الفحم[1]. وربما نقربه في هذا العصر بسريان الكهرباء في الآلة على تفصيل يأتي فيما بعد.

---

(١) انظر كتاب الروح لابن القيم، ص ١١٦ .

ميز الله الإنسان بهذه الروح وشرفها إذ أضافها إليه سبحانه إضافة تشريف فهي روح مخلوقة وليست من ذات الله (تعالى الله عما يقولون)؛ ففي الأديان الأخرى كالمسيحية هذه الروح جزء من روح الخالق كما ذهب إلى ذلك بعض المسلمين جهلاً وإلاَّ فإن المعلوم من الدين بالضرورة أن الله تعالى بائن عن خلقه منفصل عنهم، فهذه الروح إذن هي خلق من خلقه تعالى اختصها بخصائص وشرفها على سائر المخلوقات.

وبالنظر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نقول ـ والله أعلم ـ بأن هذه الروح هي جسم نوراني كما أسلفنا يحتوي عددًا من (الأوامر التشغيلية) أو (البرامج) إن صح التعبير لتشغيل الجسد الذي تسكنه.

فالبرامج مجموعة من الأوامر أو المعلومات من لدن خالقها العظيم سبحانه لتسيّر هذا الجسد وفق ناموس كتبه الله وإلى أجل محدود لا يتغير ولا يتبدل، وتنقسم هذه الأوامر إلى :

١ – الفطرة : وهي برنامج تشغيلي أولي (وأعني بذلك أنه

معلومات أساسية يولد كل إنسان مزوداً بها وهي التوحيد وهو أساس هدف الخليقة). قال ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه،...)) [(١)].

وكذلك الغرائز الطبيعية التي أوجدها الله في الإنسان كالخوف من الأصوات المرتفعة. أو الاطمئنان إلى الأم والسكون إلى صدرها ومص الثدي للرضاعة وغير ذلك.

٢- كما تحتوي هذه الروح على برنامج تشغيلي للأجهزة والأعضاء اللاإرادية كجهاز الدوران وجهاز الهضم والتنفس فهي أوامر جبرية زودت بها الروح لتعمل فور دخولها الجسد وليس للإنسان دخل فيها.

ولكلٍ روحه التي تخصّه ويتميز بها عن غيره.

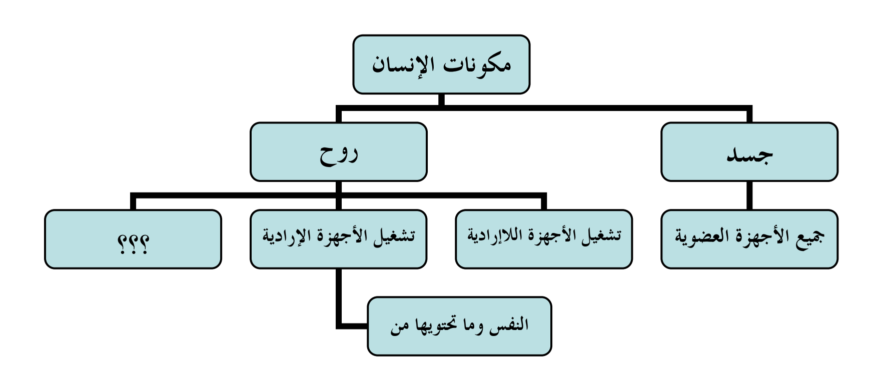
وهي دقيقة ومفصلة تفصيلاً عجيباً وفق تقدير إلهي لا يحيد فإذا سكنت الجسد نفَذَت بأمر ربها إلى كل نواة في كل خلية فتبعث فيها الحياة والحركة.

---

(١) البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج١، و رقمه ١٣٨٥.

فقلب الشخص السليم ينبض بمعدل ٧٠ نبضة في الدقيقة ورئتاه تطلقان الزفير والشهيق بمعدل ١٦ مرة في الدقيقة، وحرارته لا تتجاوز ٣٧ درجة وغدده تفرز العصارات المختلفة في نظام دقيق لا يعتريه الخطأ أو النسيان.

٣ ـ كما تحتوي هذه الروح برنامجاً لتشغيل الأعضاء الإرادية. وللإنسان هنا الإرادة في ضبطه وتفعيله. وهذا البرنامج يسكن القلب أو الفؤاد وهو المعني ـ والله أعلم ـ بلفظ النفس في بعض الآيات والأحاديث لأنه موضع الاختبار والتكليف والإرادة البشرية وسنتناوله بالبحث والتفصيل في الصفحات القادمة.



ومع دخول الروح في الجسد وسريانها فيه تتم عملية تنفيذ

الأوامر المزودة بها فتتحرك جميع خلايا الجسد مستجيبة لتلك الأوامر وكأنها تقول لبارئها سمعاً وطاعة.

ولقد ميز الله الإنسان بأن جعل له جهازاً متكاملاً لاتخاذ القرار يستخدمه أولو الألباب ليساعدهم في حل المشكلات، وفك المعضلات، والاجتهاد في بعض الأمور والمستجدات. وشاءت حكمته أن يجعل هذا الإنسان مكلفًا وجعل هذا الجهاز مساعداً له على أداء التكليف وهو الأمانة المقصودة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب ٧٢].

فعن الضحاك بن مزاحم[1] في قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة

(١) أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي المفسر ويقال أبو محمد عن ابن عمر وابن عباس مات سنة ست ومئة. و أصل الضحاك بن مزاحم من بلخ وكان يقيم بها مدة وبسمرقند مدة وببخارى مدة وهم إخوة ثلاثة مسلم ومحمد والضحاك ومات الضحاك سنة ثنتين ومائة وقد قيل سنة خمس ومائة وكان الضحاك معلماً كاتباً يعلم الصبيان ولا يأخذ منهم شيئاً. الثقات ج٦/ ص٤٨١ الكنى والأسماء ج١/ ص٦٨٧ ومولد العلماء ووفياتهم ج١/ ص٢٥٦.

على السماوات والأرض والجبال) قال : هي (الفرائض) قال : وقوله فأبين أن يحملنها قال : فلم تستطعها قال : فقيل لآدم هل أنت آخذها بما فيها قال : وما فيها، قال : إن أحسنت أجرت وإن أسأت عوقبت قال فحملها[١].

وقال الطبري : (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه إن الله عرض طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت وإن ضيعت عوقبت فأبت حملها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها وحملها آدم إنه كان ظلومًا لنفسه جهولاً بالذي فيه الحظ له) [٢].

قال ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم : إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها. قال: يا رب وما فيها. قال : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت

---

(١) تفسير الصنعاني ، ج٣ ص ١٢٥.

(٢) تفسير الطبري، ج٢٢، ص ٥٣.

فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾(١) [الأحزاب ٧٢].

فالأمانة إذن هي كل ما يجازى عليه الإنسان من قول أو فعل وهو ما نعنيه بالقرار.

وقد اختلف كثير من الناس من نظّار وعلماء وفلاسفة في حقيقة الروح وماهية النفس وعن مكمن التفكير وإعمال العقل واستيعاب المعلومة.

وقد يعدّ البعض هذه الأمور من التنطع والخوض في آيات الله بغير علم أو التخرّص بالغيب، وليس كذلك فالبحث فيها على ضوء الكتاب والسنة من الأمور البالغة الأهمية لما في ذلك من تعميق لمعرفة الإنسان بنفسه التي بين جنبيه، وأقسامها، ومكوناتها، ومواردها، ومداخلها ،ومخارجها، ومعرفة أعدائها، حتى يبدع في قيادتها لبر

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٥٢٣.

الأمان والنجاة بها من لظى النيران، والارتقاء بها في أعالي الجنان.

ولا ندّعي هنا الجزم واليقين ولكنه اجتهاد وبحث بشري قد يخطئ وقد يصيب.

نقول وبالله التوفيق أن جهاز اتخاذ القرار المساعد (Decision Support System) يتكون من :

١) السمع والبصر وبقية الحواس (أجهزة إدخال المعلومات)

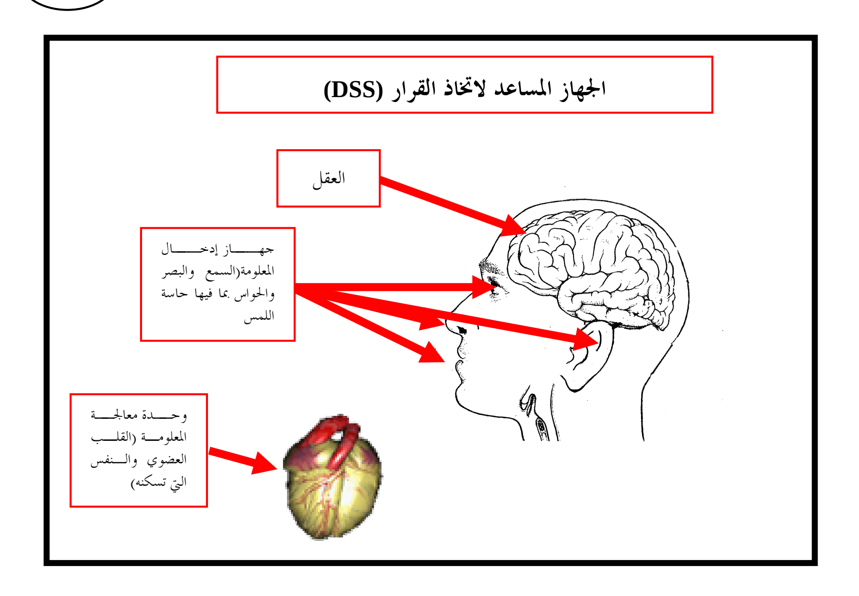
٢) القلب (عضوي) ونشبهه هنا بالجهاز الصلب (hard ware) ← وحدة التشغيل ومعالجة المعلومات (cpu)

٣) النفس ـ وهو الفؤاد ـ (معنوي) ونشبهه هنا بالبرمجيات (soft ware) ← وحدة التشغيل ومعالجة المعلومات (cpu)

٤) العقل الواعي.

٥) العقل اللاواعي.

(٤ و ٥) ← أجهزة تنفيذ وتطبيق الأوامر.



أ) جهاز إدخال المعلومات :

وهي الحواس الخمس وأخصها السمع والبصر لقوة تأثيرهما وكثرة المعلومات الداخلة عن طريقهما إلى الفؤاد، لذلك تكرر ذكرهما في القرآن الكريم فهما المعوَّل عليهما في فساد القلب أو صلاحه في الغالب قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الملك : ٢٣].

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [المؤمنون : ٧٨].

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ ﴾ [السجدة: ٩].

﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ ﴾ [الأحقاف : ٢٦].

﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ ﴾ [فصلت : ٢٢].

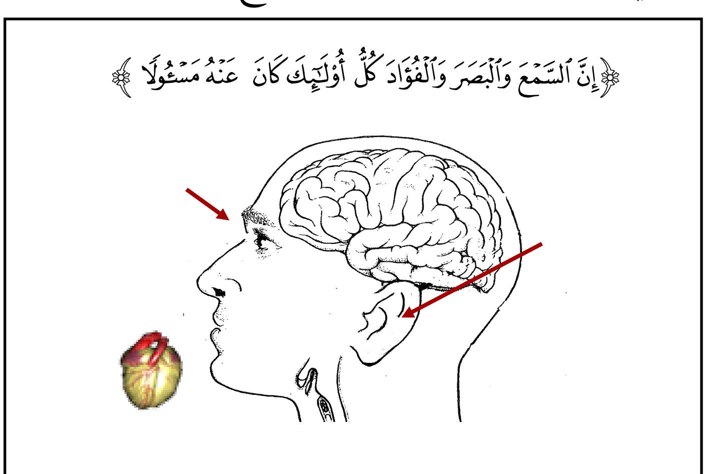
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ [البقرة : ٧].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٠].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل: ١٠٨].

فالحواس وأَخَصُّها السمع والبصر أدوات إدخال المعلومات إلى القلب فقد تصل المعلومة عن طريق حاسة الشم عند الإحساس برائحة معينة بل إن هناك من الكبائر ما يرتكب عن طريق حاسة الشم كالمخدرات مثلاً وقد تدخل عن طريق اللمس أو الإحساس بالجلد، كما تدخل عن طريق الذوق أيضًا ولكن السمع والبصر أشدها تأثيرًا وفاعلية عند الإنسان الصحيح.



ب) **القلب أو الفؤاد**[١]: جسم عضوي وهو الذي عناه سيد البشر ﷺ بقوله : ((ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)) [٢] ولا نعني بهذا القلب المضغة بذاتها بل ما يسكنها ولذلك أُشير إليها في الحديث. والذي يسكنها ـ والله أعلم بها ـ شيئان رئيسان :

(١) النفس : وهي جزء من الروح معنوي غير محسوس يسكن القلب ويستقر بداخله فيحركه وينظم عمله مع سائر الجسد ولا يزول عنه إلا بموت الجسد.

(٢) نور الإيمان والفطرة : وهذا قد يذهب فالفطرة قد تطمس ويحل محلهما الظلام والجهل ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين : ١٤]. وستتحدث لاحقاً بشيء من التفصيل عن هذه النفس. وقد ثبت طبياً أنه لو أجريت عملية زراعة لقلبِ شخص كافرٍ في بدن مسلم ، فإنه يُفيق منها مسلماً كما هو. إذن ما نعنيه بالقلب هو ذلك الجزء

---

(١) ربما يكون القلب مع ما يسكنه هو الفؤاد فإذا جرد مما يسكنه سمي قلباً والله أعلم.

(٢) صحيح مسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج٣، ورقمه ١٢١٩.

المعنوي الذي يسكن المضغة ويتفاعل مع المعلومة بداخلها .

(٣) وقد خلق الله تعالى الإنسان صفرًا من المعلومات جاهلاً بكل شيء، ما خلا ما أودعه قلبه من تلك الفطرة التي فطر الناس عليها.

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨].

وقال ﷺ : ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، . . .)) (١).

وجعل له الخيار في سلوك طريق الهداية والنور أو سبل الزيغ والنفور.

قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد : ١٠].

فهو إما أن يحافظ على هذا النور الذي أودعه قلبه وينميه بمعرفة خالقه، وإما أن يتركه نهبًا للهوى والشيطان ليخبو ويضمحل.

وجعل هذا الإنسان بما آتاه من إرادة وقدرة على الاختيار

---

(١) البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج١، ورقمه ١٣٨٥.

مكلَّفـاً ومحاسَباً، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون : ١١٥].

وقد ميَّز الله الفؤاد بمميزات جمّـة وقـدرات عجيبـة ولا غَـرْوَ فهو المعوَّل عليه في فساد الإنسان وصلاحه فهو :

١ ـ موضع استقبال المعلومة :

قال تعـالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٤].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة : ٩٧].

وقولـه : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٣].

أي المعلومات التي تجعلهم يقتنعون بعبادة العجل .

وقال ﷺ : ((... تُعرض الفـتن عـلى القلـوب كالحصـير عُـودًا

عُودًا، فأي قلب أُشرِبَها نُكتت فيه نكتـة سـوداء وأي قلـب أنكرهـا نكتت فيه نكتة بيضاء ...)) [١].

والفتن ما هي إلا معلومات فاسدة تعـرض عـلى القلـب وقـد يتقبَّلها ثم يصدقها الإنسان بالقبول والتطبيق.

٢ ـ و القلب هو موضع معالجة المعلومة مـن حيـث القبـول والـرد.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس: ٥٧] .

وقولـــه : ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ يقـــول : ودواء لمـــا في الصدور من الجهل يشفي به الله جهل الجهـال فيـبرئ بـه داءهـم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به)) [٢].

﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ أي من الشبه والشكوك وهو إزالـة ما فيها من رجس ودنس [٣].

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم، كتاب الإيمان، ج١، ورقمه ٢٣١.

(٢) تفسير الطبري، ج١١ ص١٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٤٢٢.

نقول أي لما يعتلج داخل هذا القلب من معلومات فاسدة قد تؤثر على المعلومة الصحيحة.

وقال سبحانه : ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: ١٠].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤].

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾ [الملك : ١٣].

٣ ـ و القلب بعد ذلك هو الآمر الناهي بما وقر فيه من معلومات (ضمن دائرة التكليف) وليس العقل الذي في الدماغ :

فالإيمان يُربّي في القلب الضمير والوازع والواعظ كما في الخبر عن الرسول ﷺ : ((إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه ...)) (١).

---

(١) حلية الأولياء ج١٠/ ص ٩٩ وهو في كتاب الزهد عزاه الإمام أحمد لابن سيرين ج١ص٣٠٦.

قال تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ﴾ [البقرة: ٩٣].

ومعنى إيمانهم (وهم اليهود) تصديقهم الكاذب وهو الرفض والمخالفة لما جاء في التوراة. فالذي يأمرهم في الحقيقة هي أهواؤهم[١] التي امتلأت بها قلوبهم، فقلوبهم لم يملأها الإيمان بل امتلأت بالهوى والباطل، قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] وكل قلب يأمر بما وقر فيه. وكما قيل: وكل إناء بما فيه ينضح.

كما أن في قول الرسول ﷺ لوابصة بن معبد رضي الله عنه: ((يا وابصة استفت قلبك استفت نفسك))[٢] دلالة على ما ذهبنا إليه.

٤ ـ والقلب هو موضع الفهم والإدراك والاستجابة:

وقد كانت هذه المسألة وهي: (هل مكان العقل في الدماغ أم في غيره) من الأمور الخافية على علماء النفس الغربيين ولا تزال، مع أن البعض منهم له محاولات في فهم الحقيقة التي هي عند علماء

---

(١) انظر تفسير الطبري ج١ ص٤٢٤.

(٢) انظر تخريجه وذكره ص ٢٢٥.

المسلمين حقيقة جليّة لأنها صادرة عن خالق الإنسان والأعلم به، فهناك طائفة منهم تؤكد بأن هناك عقلاً يتحكم في الدماغ وبالتالي في سلوك الإنسان وتفكيره وعلى رأس هؤلاء عالم الأعصاب المشهور (Eccles) إكسلس الحائز على جائزة نوبل لأبحاثه القيمة في الجهاز العصبي حيث يقول (لا يمكن تفسير المعلومات التي توصل إليها الباحثون عن نشاط الدماغ الإنساني والجهاز العصبي إلا بوجود (عقل) أو (نفس مدركة) تحكم النشاط العصبي والسلوكي للإنسان) ونبسط بعض أفكار هذا الباحث بما ذكره من أننا لو استثرنا جزءًا محددًا من دماغ الإنسان كهربائياً فسوف تتحرك يده مثلاً وبشكل تلقائي. فإذا أمرته أن يحرك هذه اليد مع استمرارك في استثارة الدماغ فسوف يحاول إيقاف حركتها بيده الأخرى. ويتساءل هذا العالم هنا عن : من هو الذي حرك هذه اليد ومن هو الذي حاول إمساكها ومنعها من الحركة ؟ وأجاب بأن الدماغ يحركها والعقل يحاول إمساكها (انتهى).

ومن الواضح أنه بغير هدى من الله ستظل هذه المشكلة بغير حل جذري. وكذلك الجانب العضوي البيولوجي فيها، يتفق علماء دراسة الجهاز العصبي بأن الدماغ الإنساني هو أعقد شيء في

كون الله الواسع . يقول يوتال (Uttal) في كتابه القيم (The psychobiology of the mind) إن جميع الكشوفات والأبحاث الحديثة في التعرف على عمل الدماغ الإنساني لم تساعدنا في حل عقدة الإنسان التاريخية عن صلة جسمه بعقله. بل إن هذه المعلومات لم تزد على أن بدلت من تفاصيل المسائل المطروحة عن هذه المعضلة بأسئلة أخرى. وأن الأسئلة الجوهرية التي طرحت في أيام أرسطو منذ أكثر من ألفي عام ما زالت تنتظر الإجابة الشافية[١]، أما الأمر بالنسبة لعلماء المسلمين فإن الأمر لا مراء فيه، قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله : (هذه مسألة أشكلت على كثير من النظار الذين ينظرون إلى الأمور نظرة مادية لا يرجعون فيها إلى قول الله وقول رسوله ﷺ، وإلا فالحقيقة أن الأمر فيها واضح أن العقل في القلب وأن القلب في الصدر . . . إلى أن قال إذن القلب محل العقل ولا شك ولكن الدماغ محل التصور، ثم إذا تصورها وجهزها بعث بها إلى القلب، ثم القلب يأمر وينهى، فكأن الدماغ (سكرتير) يجهز الأشياء ثم يدفعها إلى القلب) وقال :

---

(١) التفكر من المشاهدة إلى الشهود، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(القلوب هي محل العقل والتدبير للشخص ولكن لا شك أن لها اتصالاً بالدماغ ولهذا إذا اختل الدماغ فسد التفكير وفسد العقل، فهذا مرتبط بهذا، ولكن العقل المدبر في القلب والقلب في الصدر ﴿ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾)(١) .

نستنتج من خلال بحثنا ـ والله تعالى أعلم ـ بأن العقل (الأم) يسكن الدماغ وهو البرنامج الرئيسي المسئول عن تنفيذ الأوامر وتحريك الأعضاء الإرادية واللاإرادية . فالأوامر اللاإرادية صادرة عن ما زودت به الروح من أوامر ونواهي لتشغيل البدن من لدن الخالق سبحانه. أما الإرادية فهي القرارات الصادرة عن الفؤاد أو النفس المكلّفة والتي تشتمل أيضاً على عقل ولكنه عقل محدود ومهمته محدود في دائرة التكليف والتخيير والثواب والعقاب ويعمل كالمستشار للبرنامج الرئيسي المنفذ لقراراته بتسخير الأعضاء المناسبة.

والكل يعمل كوحدة ونظام موحّد ضمن جهاز اتخاذ القرار .

فالقلوب إذن هي محل السمع الواعي والبصر الإدراكي الذي

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ج١/ ص١٩٠ ـ ١٩١.

يثاب عليه الإنسان أو يعاقب، فنظر الاعتبار من القلب فالعين تنظر والقلب يعتبر وكذلك سماع الاستجابة وما أكثر الآيات الدالة على ذلك ومنها :

قوله تعالى :

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾[غافر: ١٩].

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

و قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج: ٤٦].

وقال : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق : ٣٧].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢١].

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف: ١٩٨].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠٠].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس: ٤٢].

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: ١٢].

٥ ـ **والقلب هو محل الصفات السلوكية**: التي هي نتاج معالجة المعلومة ومنها الرضا والاطمئنان أو البغض والشنآن والتي

يظهر أثرها بعد ذلك على الجـوارح، ومـن الآيـات الدالـة عـلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فلما رأى إبراهيم ﷺ تلك المعلومات بعينيه ذهبت إلى القلب فازداد يقينه واطمأن قلبه فلم يكن للشيطان عليه سبيل.

- ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦].

فإكراه الجوارح على العمل لا يُعتَدُّ به إلا بقبول من القلب وإقرار.

- ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

- ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وهنا خص القلب بالإثم وهو إرادة الكلّ بالإشارة إلى الجزء لأنه موضع تقبل المعلومة.

- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

٦ ـ كما أن القلب هو المعني بالغفلة والنسيان والعلم والجهل : ولأن الشيطان هو الذي يُنسي وعمل الشيطان يكون في الصدر، في الجهاز الرئيس للبرمجة وهو القلب فالتذكر والغفلة والنسيان آفة منوطة بالقلب، وقد استقرأنا جميع آي القرآن فلم نجدها عَنَتْ بلفظ التذكر والغفلة إلا الروح والنفس والقلب. قال تعالى :

﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣].

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المؤمنون : ٦٣].

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ

لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

فالمعلومة تدخل إلى الفؤاد عن طريق السمع والبصر والحواس وخُصَّ السمع والبصر بالذكر لكونهما أشد الحواس تأثيرًا وأكثرهما استقطابًا للمعلومة.

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ٢٢].

٧ ـ كما أن القلب هو موضع الهداية والزيغ :

قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ﴾ [آل عمران: ٧].

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١].

وهناك ثلاثة أمور تتحكم في هذا القلب من حيث الهداية والزيغ:

١- الله تعالى هو المهيمن وهو المالك المتصرف.

وفي الحديث: ((إِنَّ قُلُوبَ بنى آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرحمن كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ)) ثُمَّ قال رسول اللهِ ﷺ ((اللهم مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ))[1].

٢- ثم الإنسان نفسه باتباعه لنهج خالقه أو البعد عنه:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]. فالزيغ بداية من عند أنفسهم.

وقوله ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ [الشمس:٩] والمقصود بها النفس التي تسكن القلب والله أعلم.

٣- الشيطان بالتزيين والوسوسة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾ [محمد: ٢٥].

ج) *النفس:* (والنفس مندرجة مع الخصائص التي تم ذكرها عن

(١) صحيح مسلم، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ج٤ ورقمه ٢٦٥٤.

الفؤاد أو القلب لأنها تسكنه وما سنتناوله هنا هو البحث في ماهيتها والمراد بها.

اختلف كثير من المتقدمين والمتأخرين حول ماهية النفس وهل هي الروح أم غيرها.

وذكر ابن القيم في كتاب الروح أقوال بعض العلماء والفلاسفة، نذكر منها :

أن النفس تطلق على أمور أحدها الروح.

والنفس تطلق على الإصابة بالعين (أصابته نفس) أي عين.

والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور، ٦١].

وتطلق على الروح وحدها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾ [الفجر: ٢٧].

و قوله : ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ثم يقول : الفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات. وقالت فرقة أخرى من أهل الحديث والفقه والتصوف :

الروح غير النفس، قال مقاتل بن سليمان للإنسان حياة وروح ونفس فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فبه يتقلب ويتنفس فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة العين فإذا أراد الله عز وجل أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت. وقال أيضاً : إذا نام خرجت نفسه فصعدت إلى فوق فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح فيصبح يعلم أنه قد رأى كيت وكيت.

قال أبو عبد الله بن منده : ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فقال بعضهم النفس طينية نارية والروح نورية روحانية. وقال بعضهم الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وأن الخلق بها ابتُلي.

وقالت طائفة وهم أهل الأثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه، فالنفس لا تريد إلا الدنيا ولا تحب إلا إياها. والروح تدعو إلى الآخرة وتُؤْثِرها،

وجعل الله الهوى تبعاً للنفس، والشيطان تبع النفس والهوى، والملك مع العقل والروح والله تعالى يمدهما بإلهامه وتوفيقه.

وقال ابن القيم: قلت أما الروح التي تُتوفَّى وتُقبض فهي روح واحدة وهي النفس. وأما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهو روح أخرى غير هذه الروح كما قال تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

و أما القوى التي في البدن فإنها تسمى أيضًا أرواحًا فيقال الروح الباصر والروح السامع والروح الشَّامُّ فهذه الأرواح قوى مودعة في البدن تموت بموت الأبدان(١)، وهي غير الروح التي لا

(١) كيف يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن الروح الباصر والسامع والشام وغيرها تموت بموت الأبدان ونحن لدينا من السنة الثابتة ما يناقض ذلك ففي صحيح مسلم قوله ـ ﷺ ـ : «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» ج٢/ ٦٢٤ ومن الأحاديث الكثيرة ما يثبت أن الميت يبصر ويسمع ويشم حيث يفتح له باب من الجنة أو النار ويأتيه من ريحها. وإن كان يعني بذلك أن هناك سمعاً وبصراً وشماً دنيوياً وآخر خارجاً عن العالم المحسوس كالذي يرى به الإنسان ويسمع في المنام فهذا يرده أيضا خطاب الرسول ﷺ لقتلى القليب وهم كفار قريش الذين قُتلوا في غزوة بدر ففي صحيح مسلم برقم ٢٨٧٤. أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: « يا أبا جهل بن هشام،=

تموت بموت البدن و لا تبلى كما يبلى، و يطلق الروح على أخص من هذا كله و هو قوة المعرفة بالله و الإنابة إليه و محبته و انبعاث الهمة إلى طلبه و إرادته، و نسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فإذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن الذي فقد روحه . . .)(١).

أما علماء النفس الغربيون فليس لهم علم بالنفس لأنهم لا يؤمنون بالجانب الروحي للإنسان ولذلك فإن جميع محاولاتهم للارتقاء بالسلوك الإنساني وسبر أغواره باءت بالفشل.

فبالنظر إلى هذه الأقوال والتبصر في آي القرآن الدالة عليها مع

= يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً». فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنَّى يجيبون وقد جيفوا ؟. قال : «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا». وأن الحي إذا مر بقبر الميت وسلم عليه رآه وسمعه. ورؤيا الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن شماس بعد استشهاده في اليمامة والقصة في المعجم الكبير برقم ١٣٢٠ كل ذلك يدل على أن الميت يسمع ويبصر الأمور الدنيوية إضافة إلى الأخروية أو الغيبية قال تعالى : ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق: ٢٢]..

(١) ابن القيم، حادي ا لأرواح ص ١٩٧ـ١٩٨.

الاستئناس بالثورة العظيمة في العلوم والتقنية التي ظهرت في هذا العصر تكشفت أمور لم يكن يتخيلها الإنسان فقربت إلى الأذهان بعضاً من الأمور الغيبية أو على الأقل غيرت النظرة السابقة عنها، فمع ظهور وسائل الاتصال عن بُعد كالهاتف الخلوي والأجهزة اللاسلكية والفاكس والشبكة العنكبوتية أصبح بمقدور الإنسان أن يتكلم مشافهة مع شخص بينه وبينه بعد المشرقين.

وما حدث مع ظهور الحاسب الآلي من ثورة علمية كشفت عن طريقة تشغيله بواسطة مجموعة من الأوامر يتم برمجتها وتنظيمها.

نقول لعل ذلك كله يسلط شيئاً من الضوء على كيفية عمل الروح خاصة وقد اتضح أن هذا الكون بأكمله يدار بأوامر من العلي القدير سبحانه.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت:١١].

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٨ ـ ٦٩].

وإن هذا الكون بأكمله يسير طائعًا لربه مذعنًا لأمره مجبوراً ومقهوراً على ذلك وربما كانت تلك هي عبادته. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

فلا غرو إذن أن تكون هذه الروح مشتملة على أوامر مقهـورة عليها وهي اللاإرادية وترك لها الخيار في الإرادية فتنة واختبارًا.

والخلاصة أن روح الإنسان مزودة بمجموعة من الأوامر فهي

مسئولة عن تحريك الأجزاء اللاإرادية في الجسد كالتنفس والهضم والإخراج وغيره كما أنها تحتوى على جزء خاص يقوم بتشغيل الأعضاء الإرادية وهو النفس أو الفؤاد[1]، ونحسب أنها ذلك الجزء من الروح المزود بالفطرة وهي التوحيد، ويختص بالأوامر الإرادية التي هي مناط التكليف والاختبار فهي التي يعقل بها الأشياء ويدركها[2]، وهي التي أشهدها الله يوم خلق آدم عليه السلام حيث لم يكونوا أجسادًا بعد ولم تكن أرواحهم[3] مكتملة بل كانوا في عالم الذر، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: ((إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بـ (نعمان) يوم عرفة، وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين

---

(١) والدليل على أن الفؤاد هو الجزء المعنوي من القلب أن جميع استعمالاته في اللغة تتعلق بهذا الجانب كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ يبين ذلك المشاعر والأحاسيس التي تسكن القلب كما بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ أن الفؤاد هنا لا يعني الجزء العضوي بل المعنوي الذي يحتوي الإيمان..

(٢) ولعل هذا يجيب على حيرة عالم الأعصاب جون إكسلز التي استنتج بعد بحث وتجارب عدة أنه لابد من وجود عقل أو نفس مدركة على حد قوله. وقد سبق أن ذكرنا بعضاً من أقواله ص١٢٢.

(٣) انظر كتاب الروح لابن القيم ص١٥٤-١٥٨ .

يديه كالذر، ثم كلّمهم قبلاً قال : ((ألست بربكم قالوا بلى)) [١]، وهذا يدل على أن النفس جهاز مودعٌ فيه قدر من المعلومات الرئيسة التي تُعرّف بخالقها وتعمل على تشغيل الأجهزة الإرادية في الجسد والله تعالى أعلم :

إذ قال سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وهذا الجزء وهو النفس هو أيضا الذي يصعد إلى السماء أثناء النوم مع بقائه متصلاً بالجسد من خلال الروح المحركة للأعضاء التي لا تنفصل عن الجسد إلا بالموت. كما أن ذلك الجزء هو الذي يبقى بعد فناء الجسد ثم ينشئ الله له جسدًا آخر يوم القيامة، ثم يكون في أجساد أهل الجنة وأهل النار لأنه الجزء المعني بالتكليف والاختبار، ولعل هذا يبين الحكمة من عدم ذكر روح الإنسان في القرآن إلا بلفظ النفس لأنها المعول عليها في الاختبار والابتلاء قال تعالى :

---

(١) صحيح الجامع، وقال الألباني صحيح.

﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥١].

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [النحل: ١١١].

ولعل لفظ النفس هنا يدل على معنيين: فالنفس في أول الآية تدل على الإنسان وفي الثانية والثالثة تدل على النفس المكلفة وهي التي نعنيها فيكون معنى الآية أن كل شخص يأتي يوم القيامة يخاصم ويدافع عن نفسه التي بين جنبيه ويطلب النجاة لها، كيف لا وهي التي ستنعّم أو تعذب حين يتضح في ذلك اليوم حكم الله فيها فتجازى بما عملت جزاء عادلا لا جور فيه ولا ظلم ـ وتعالى الله عن ذلك سبحانه ـ بعد أن توضع في جسد غيره يناسب كونها من أهل الجنة أو من أهل النار (عياذا بالله).

والنفس مسئولة يوم القيامة أما بقية الأعضاء فشاهدة ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣].

وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا

يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور: ٢٤].

﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس: ٦٥].

وقد تكون كذلك هي التي يكتب فيها الملك المعلومات البالغة الخطورة ذات العلاقة بمآل الإنسان ورزقه وأجله وشقيٌّ أم سعيد بناءً على علم الله السابق فتيسّر لما خلقت له.

أما مكان هذه النفس فهو القلب فهي تسكنه وتشترك معه في اتخاذ القرارات.

ولعل هذا يوفق بين الإشكال الظاهر في الدلالة على القلب بأنه أهم الأعضاء تارة والدلالة على النفس بأنها أهمها وأخطرها.

فقد قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس ٧-١٠].

وقال ﷺ: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)) [1]. فنجد في

(١) سبق تخريجه ص١١٦.

الآية الكريمة أن النفس هي المعول عليها في الصلاح ثم نجد في الحديث الشريف بأنه القلب. وقد وُصف الاثنان بالطمأنينة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الفجر: ٢٧].

وقال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[البقرة: ٢٦٠].

وأشار إلى كليهما بالإحساس بالخوف والوجل فقال سبحانه:

﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه: ٦٧].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢].

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠]. وهما موضع اليقين والهداية، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾[النمل: ١٤].

وقال: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[التغابن: ١١].

وقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾[السجدة ١٣].

فعلى هذا نخلص بأن النفس جزء من الروح يسكن القلب مشتملة على برنامج تشغيلي يقوم بتحريك الأعضاء الإرادية وهو

المسؤول يوم القيامة عن قراراته فجميع هذا الجسد وما فيه من أعضاء خادم لهذه النفس التي لا تشغل إلا حيزًا صغيرًا داخل القلب فامتحان العبد وابتلاؤه يدور عليها وهذا مصداق الحديث (لو صلحت صلح الجسد كله ...).

وتنقسم النفس إلى حالات من حيث كفاءة تشغيلها و اتباعها لأمر بارئها:

﴿ **وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣** ﴾ [يوسف: ٥٣].

﴿ **يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧** ﴾ [الفجر: ٢٧].

﴿ **وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢** ﴾ [القيامة: ٢].

فهذا يدل على حالتها من حيث اتباعها لأوامر الله ونواهيه، فالنفس الأمارة كثيرة التفريط فهي لذلك رديئة التشغيل وتليها النفس اللوامة وهي التي تهم بالخير تارة والشر تارة وتلوم نفسها على الشر بعد اقترافه، أما النفس المطمئنة فهي المتبعة لأوامر الله ونواهيه بإحسان، وهذه النفس تتدرج في الارتقاء في مراتب الطاعة والمحبة حتى تكون النفس الملهمة أو المسددة ولا يصلها إلا الأنبياء وقليل من الصالحين وهي التي عناها الله تعالى في الحديث القدسي :

قال رسـول الله ﷺ : ((إن الله قـال : مـن عـادَى لي وليـاً فقـد آذنتُه بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليـه وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافـل حتـى أحبَّـه فـإذا أحببتُـه كنـتُ سَمعَه الذي يسمع به وبصرَه الذي يُبصر بـه ويـدَه التـي يـبطش بهـا ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأُعطِيَنَّه ولـئن اسـتعاذني لأُعِيذَنَّـه وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن قبض نفس المـؤمن يكـره الموت وأنا أكره مَساءَتَه)) [1]؛ فهذه النفس تكـون قراراتهـا وأفعالهـا مسددة من الله تعالى.

ومن المهم أن نعلـم أن الثقـة المطلقـة بـالنفس مهـما صـلحت مرفوضة في القرآن والسنة وهذا الخطأ وقع فيه دُعاة البرمجة العصـبية اللغوية فهم يُعطون الثقة المطلقـة لقـدرات مـا يزعمـون أنـه العقـل الباطن وأنه قادر على تحقيق رغبات النفس وأهدافها.

وأما بالرجوع إلى الكتاب والسنّة نجد قوله ﷺ في الدعاء المأثور : ((يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تَكِلْني إلى نفسي طرفة عين))، فيه اعتراف بالضعف وعدم الركون

(١) صحيح البخاري، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، ج٥/ ص٢٣٨٤.

إلى قدرات النفس فمهما بلغت من التزكية والطهر أو القوة والقدرة فهي بحاجة إلى السند والعون من بارئها على الدوام وكذلك الأمر بالنسبة إلى القلب وما يسكنه فإنه لولا رحمة الله سبحانه بالعبد لأهلكته الأدواء وتمكنت منه الآفات القلبية والسلوكية قال ﷺ : ((لَقلبُ ابن آدم أشدُّ انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياناً)) [١]، ولذلك فإن رسول الله ﷺ كان يُكثر من الدعاء المأثور : ((يا مقلبَ القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك)) وكان كثيراً ما يُردد قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨].

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ دلالة واضحة على رحمة الله بالعبد المؤمن، أن فرض عليه قراءة الفاتحة أكثر من سبع عشرة مرّة في اليوم يطلب في كل مرّة العون من الله والاستعانة به وهي دليل على ضعفه وحاجته.

---

(١) صحيح الجامع وقال الألباني صحيح.

د ـ العقل الواعي[١]:

ويعمل بمثابة المدير فهو المنفذ الذي يسخّر جميع الأعضاء الإرادية واللاإرادية في تنفيذ القرارات فالأوامر اللاإرادية ترد عليه مباشرة من الروح، أما الأوامر الإرادية فتأتيه من وحدة التشغيل و المعالجة (القلب والنفس) وقد يتطلب الأمر الرجوع إلى الذاكرة الإرادية أو اللاإرادية لاسترجاع بعض المعلومات المشابهة، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النازعات: ٣٥].

﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الصافات: ٥١ ـ ٥٣].

---

(١) هذا لا يتعارض مع ما ذكرنا سابقًا أن العقل في القلب، فالعقل الأم في الدماغ أما القلب أو الفؤاد فتشتمل على جزء من العقل يختص بالتكليف والتخيير والله أعلم انظر الشرح الخاص بالجهاز المساعد لاتخاذ القرار ، بند القلب أو الفؤاد.

فهذا كله يبين أن هذه الذاكرة تتعلق بالنفس وتكـون معهـا في جميع مراحل الحياة بما في ذلك يوم الحشر والجنة والنار وتتكـون مـن المعلومات المدخلة عن طريق السمع والبصر والحواس التـي وردت على القلب فتقبلها وأُشربها عندئذ تحفظ في مكان ما ليستدعيها عنـد اتخاذ القرارات وقد يكون هذا المكان هـو القلـب نفسـه لتعلقهـا بـه والله أعلم.

هـ ـ **العقل اللاواعي**[1]: ويشتمل على ذاكرة لاإرادية تمتاز بمساحتها

---

(١) وهذا العقل ليس له علاقه بما يسميه دعاة البرمجة بالعقل الباطن فذلك لا علاقة له في بحثنا.

وقد يسأل سائل كيف تحكم بوجود العقل اللاواعي ولم يدل عليه الكتاب ولا السـنة ؟ أقول إننا نستقرئ وجوده من السنة ففي المستدرك على الصحيحين بـرقم ٢٨٠٢ وقـال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجـاه قـال ﷺ : ((لا طـلاق ولا عتـاق في إغلاق) وفُسر الإغلاق بأنه مفارق عقله بالغضب أو غيره فالطلاق قرار ولما كـان هـذا القرار بالغ الأهمية وتنبني عليه حياة وروابط إنسانية وكذلك العتاق كـان مـن الحكمـة عدم بنائه على قرار صادر بطريقة لا إرادية عند انغلاق العقل الـواعي؛ فشـدة الغضـب والسكر مثلاً تغلق العقل الواعي ولكن يظل الإنسان قادراً على اتخاذ القرار، فمـن أيـن يصدر القرار يا ترى ؟ لابد من وجود جزء في العقل يعمل نيابة عنه في حالـة الانغـلاق وهذا من حكمة الله فلا يُشل الإنسان عن التفكير أو الحركـة وهنـا تكمـن أهميـة انتقـاء المعلومة وعدم ترك العقل فريسة لكل ما هبَّ ودبَّ لأن ذلـك أيضـاً مـدخل عظـيم =

الاستيعابية الواسعة ومن أبرز صفاتها :

١) أنها تسجل جميع المعلومات الواردة عبر الحواس الخمس في كل زمان ومكان منذ سن مبكرة حتى سن الشيخوخة المتأخرة عند الشخص السليم.

٢) أنها لا تتوقف عن التسجيل لحظة حتى في حال النوم فهي تسجل الأحلام والرؤى والكوابيس المختلفة.

٣) تتميز بطاقتها الاستيعابية الهائلة فهي تقوم بتسجيل ملايين المعلومات في وقت قصير بينما الذاكرة الإرادية لا تحفظ إلا ما بين ٧ـ٩ معلومات في الدقيقة. لذلك قد تقابل شخصاً ما في مكان ما فتجد أنك تعرفه وتألف شكله ومظهره لأن الذاكرة العشوائية قد قامت بحفظه وتخزينه في الذاكرة لاإرادياً بغير تصنيف فقد تقول إنك ربما تعرفه أو رأيته يومًا ما لكنك لا

= التأثير للشيطان فالقوة الغضبية أو السكر مع المعلومة الفاسدة مفتاح سلس يستعمله الشيطان للولوج من خلاله إلى جهاز اتخاذ القرار والعبث به.

تعرف اسمه على وجه التحديد.

ولكل حاسة حافظة خاصة تستوعب جميع المعلومات الواردة عن طريقها في (ملف) خاص، فحافظة الأذن تحفظ جميع الأصوات المختلفة كأصوات الأشخاص كل فرد بعينه وأصوات الحيوانات والطيور وخرير الماء وتكُّسر الزجاج والانفجار وغير ذلك، وللبصر كذلك حافظة خاصة تحفظ الصور المختلفة من صور الناس والحيوان والأشياء من حولها وهكذا سائر الحواس. فقد يسمع الإنسان أو يرى شيئًا لمرة واحدة ولا يُعيره اهتماماً خاصاً ولكنه يُسجل في ذاكرته حتى إذا ما رآه مرّة أخرى فإنه يتعرف عليه. وترد على هذه الذاكرة ملايين المعلومات منذ لحظة الولادة حيث يتعرف الطفل على صوت والدته ويألفها قبل أن يراها تمام الرؤية ذلك لأن صوتها يرتبط بموعد رضاعته وتغيير ملابسه وحمله فيطمئن له وهش إليه. وتستمر الذاكرة في تسجيل المعلومات (أي معلومات ترد عبر الحواس) حتى يبلغ الفرد من الكبر عتياً بل حتى لحظة الموت ما دام صحيح الحواس.

ويستدعي القلب المعلومات من هـذه الـذاكرة و يسـتخدمها لاتخاذ القرار عند الضرورة في الحالات التالية :

١-عند خواء الذاكرة الإرادية من المعلومة في ذلك الشأن.

٢-عند القرار المفاجئ أو اللحظي أو في حالة الغضـب الشـديد أو السكْر أو ما أشبه ذلك حيث ينغلق العقل الواعي فيبـدأ العقـل اللاواعي في التصرف فيتخذ قراراً سريعاً غير مدروس مبنياً على معلومات محفوظة في الذاكرة اللاإرادية عن شيء قد رآه من قبـل أو رأى الناس يفعلونـه فيكـون القـرار ارتجاليـاً منشـؤه التقليـد والمحاكاة. ولكي نقرب للأذهان عمل هـذا العقـل فإنـه يعمـل عمل الطيار الآلي في الطائرة الذي يعمل في حالة الطوارئ فقط، فعند حدوث خلـل مـا في الطـائرة وعجـز الطيـار عـن قيادتهـا كإصابته بـإغماء مـثلاً فـإن الطيـار الآلي يبـدأ في العمـل بطريقـة (أوتوماتيكية) بناءً على برمجة سابقة لهذا الجهاز.

كذلك الذاكرة اللاإرادية تمتلئ بمعلومات شتى من مصادر مختلفـة فإن لم تكن مصنفة (Labled) من حيث القبول والرد ومن حيث الحلال

والحرام، والحسن والمشين ، والممكن عمله وتطبيقه وغير الممكن، فإنها تدخل إلى الذاكرة دخول المعلومة المسلّم بصحتها، فإذا فاجأه قرار ما قد تنغلق الذاكرة الإرادية ويبدأ جهاز اتخاذ القرار بالبحث في أوراق الذاكرة اللاإرادية وينتقي موقفاً مشابهاً أو حادثة مطابقة سواء من فيلم شاهده أو جريمة أو قصة قرأها أو سمعها فيحاكي ما فيها فيتخذ قراراً متهورًا لا ينبني على أساس مدروس. ولذلك من الخطورة بمكان أن نترك هذه الذاكرة تمتلئ بالمعلومات التافهة والمغلوطة.

وقد حدث في المجتمع أمثلة كثيرة تؤكد هذا الأمر منها على سبيل المثال :

ما حدث لزوجين لهما عدد من الأبناء وكانت حياتهم تسير على ما يرام وكان الزوج يحب زوجته حباً شديداً وهو شديد الغيرة عليها، إلا أنهم اختلفوا يوماً فغضب منها فذهبت إلى أختها وطلبت منه الطلاق، ومكثت أياماً عدّة تخرج مع أختها وزوجها إلى النزهة أو إلى السوق مما جعل نار الغيرة تتأجج في قلب الزوج فذهب مغاضبًا إليهم مرات عدة ولم يجدهم حتى احتدم غضبه وثارت

ثائرته، وفي يوم انتظر متخفياً قريباً من المنزل فلـمّا رآهم قادمين باغتهم ودخل معهم ثم أشهر سلاحه فقتلهم جميعًا.

وكثيراً ما نسمع عن شاب مرَّ بأزمة نفسية عصيبة فما كان منه إلا أن شنق نفسه أو تناول سمًا أو تخلص من حياته بأسلوب آخر.

هذه القصص لم نكن نسمع عنها في الواقع في مجتمعاتنا المسلمة بل كانت من خيالات المخرجين والممثلين في الأفلام السينمائية التي تبثُّها وسائل الإعلام المختلفة والتي يعكف الناس بكل أسف على متابعتها وتسخير جميع أعضائهم وجوارحهم للإنصات إليها والتفاعل مع أحداثها وملابساتها، حتى رسخت في أذهان البعض. ومع غياب المعلومة الصحيحة ووجود قوة الغضب وانغلاق العقل الواعي يستدعي القلب الذاكرة اللاإرادية ويستسلم لما تمليه عليه من سقط المتاع.

كذلك ما حدث لعائلة مصرية حيث قَتَلَ غلام يبلغ الأحد عشر عاماً ابنة جاره التي لم تتجاوز الرابعة من العمر لأنها أفسدت عليه لهوه وكسرت لعبته فاقتادها إلى مزرعة قريبة ثم فعل فعلته

الشنيعة حيث طعنها في جسدها الصغير عدداً من الطعنات حتى فارقت الحياة، و هنا نتساءل أنّى لهذا الفتى مثل هذا التفكير الإجرامي إلا أن يكون قد رآه في إحدى وسائل الإعلام التي تبث في أذهان الصغار و الكبار من النفايات السمعية و البصرية ما لا حصر له ولا عدَّ. حتى إذا طفحت الذاكرة بالفاسد من القول والممجوج من الفعل لم يكن أمامهم إلا المحاكاة والتقليد. وتستخدم هذه الذاكرة عند غياب المعلومة الصحيحة فكم من طفل شاهد بعض الأفلام الكرتونية المتحركة التي تُدعى الرجل القوي (سوبر مان) فكان يراه يطير في الهواء فحاكى فعله فسقط من شرفة المنزل ميتاً. وذلك لخواء الذاكرة الإرادية من المعلومة الصحيحة، لذلك فإن من أخطر الأمور ترك الأبناء فريسة لتلك المصادر المفسدة تملأ أدمغتهم بالغثِّ الذي ينعكس سلبًا على قراراتهم فيما بعد.

فكلما امتلأت الذاكرة بالهادف والمفيد من العلم الصحيح كانت قرارات الإنسان أقرب إلى الصواب والحكمة حتى في حالة الغضب الشديد والانغلاق واللاوعي، فإن المعلومات الراقية التي

اجتمعت في ذاكرته اللاإرادية تُسعفه في كثير من الأحيان فلا يصدر عنه تلك الأفعال المشينة التي تنطوي عليها بعض النفوس التي تتستَّر بالدين أو الخُلُق ثم يفضحها الله في مثل تلك الظروف. ومن ذلك قصة رجل كان يعمل مؤذناً وإماماً لأحد المساجد بمحافظة عسير بالمملكة العربية السعودية حصل له حادث وحمل إلى المستشفى في حالة إغماء وكان كلما دخل وقت الصلاة إذ به يتمتم بالأذان من غير شعور.

و أصيب شاب في حادث سير وكان حافظاً للقرآن فدخل في غيبوبة تامة لعدة أيام قبل وفاته وكان أبوه يجلس بقربه يقرأ عليه القرآن فتدمع عيناه وتسيل دموعه على خديه كلما سمع الآيات وهو فاقد للوعي.

وقد حرص الرسول ﷺ أشد الحرص على العقل وعدم التشويش عليه بما قد يُلبس عليه من معلومات خاطئة فقد غضب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نسخ كتاباً من أهل الكتاب للاستفادة منه.

عن خالد بن عرفطة[١] قال : كنت جالساً عند عمر إذْ أتاه رجل من عبد القيس فقال له عمر : أنت فلان العبدي قال :

نعم، فضربه بقناة معه فقال الرجل : ما لي يا أمير المؤمنين ؟ قال: اجلس. فجلس فقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله : لمن الغافلين فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً فقال له الرجل : ما لي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت الذي نسخت كتاب دانيال ؟

قال : مرني بأمرك أتبعه قال : انطلق فامْحُه بالحميم والصوف ثم لا تقرأْه ولا تُقرئْه أحدًا من الناس فلئن بلغني عنك أنك قرأتَه أو أقرأته أحدًا من الناس لأُنْهِكنَّك عقوبة ثم قال : اجلس، فجلس بين يديه، فقال : انطلقت أنا فانتسختُ كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله ﷺ : ما هذا في يدك يا عمر ؟ فقلت : يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا. فغضب رسول الله حتى احمرَّت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار : أغضب نبيكم، السلاح.

---

(١) خالد بن عرفطة العذري وعذرة من قضاعة وكان خليفة سعد بن أبي وقاص على الكوفة ثم استعمله زياد على الكوفة.

فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختُصر لي اختصارًا ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوَّكوا ولا يغرَّنَّكم المتهوِّكون. قال عمر ـ ﷺ ـ فقمتُ فقلتُ : رضيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً ثم نزل رسول الله ﷺ[١].

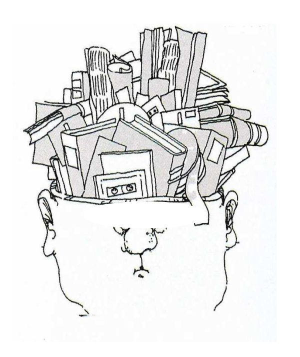
عن جابر بن عبد الله[٢] عن النبي ﷺ أن عمر أتاه فقال إنا نسمع أحاديث من اليهود تُعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وَسِعَه إلا اتباعي[٣].

فالعقل مكتبة هائلة بها مصنفات عدة و علوم مختلفة.

(١) الدر المنثور ج٤ ص٤٩٧.

(٢) هو أبو القاسم جابر بن عبد الله بن المبارك الموصلي الجلاب حدث ببغداد عن أبي يعلى الحسين ابن محمد المطلبي روى عنه إبراهيم بن مخلد الباقرحي.

(٣) شعب الإيمان، ذكر حديث جميع القرآن، ج١، ص٢٠٠.



(١)

والفؤاد هو المسئول عن البحث فيها والنظر في البدائل وانتقاء الحلول والإقرار بالقبول أو الرفض. ومهمة العقل لا إرادية فإذا وصلت الإشارة إلى العقل سعى للتنفيذ، قد يقول قائل فما بال من يسمع الأذان مثلاً ويهمُّ بالصلاة ثم يتكاسل فهل هذا تقاعس من العقل عن تنفيذ القرار؟

نُجيب والله أعلم بأن الأمر هنا لم يصل إلى العقل بعد فهو في مكان معالجة المعلومة بل إنه لا يزال في مرحلة تحليل البدائل يقوم للصلاة أم لا يقوم ؟. فإذا حسم الأمر وأرسلت الإشارة إلى العقل نفذ بلا جدال.

---

(١) الصورة مأخوذة من مجلة تحت العشرين الكويتية عدد غير معروف.

أسباب اتخاذ القرار العشوائي أو المتهور :

١-عدم وجود منهجيّة أو أسس سليمة متبعة تساعد الفرد على اتخاذ القرار السليم.

٢-تغليب هوى النفس على كثير من القرارات.

٣-تدخُّل الشيطان بالوسوسة وقوة تأثيره بالممالأة على الباطل بالتأييد والمناصرة عند ضعف الإيمان والجهل بالدين وفساد المعلومة.

٤-إغفال عامل البحث والاستهانة بجهاز اتخاذ القرار والاكتفاء بالتقليد والمحاكاة.

إن أولي الألباب ومن لديهم الإحساس بنعمة العقل لا يرضون إلا بالبحث والتقصي واستنفار عقولهم لتحري الصواب ومنهم الصحابي الجليل الطفيل بن عمرو رضي الله عنه[1].

قال : كنت رجلاً شاعرًا سيداً في قومي فقدمت مكة فمشيت

---

(١) الطفيل بن عمرو الدوسي نسبة إلى دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد بطن كبير من الأزد ينسب إليهم خلق كثير منهم أبو هريرة رضي الله عنه.

إلى رجالات قريش فقالوا : إنك امرؤ شاعر سيد وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه فإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يُدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا فإنه فرَّق بين المرء وأخيه وبين المرء وابنه فوالله ما زالوا يحدثونني شأنه وينهونني أن أسمع منه حتى قلت والله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادٌّ أذنيَّ قال: فعمدت إلى أذني فحشوتُها كرسُفاً ثم غدوت إلى المسجد فإذا برسول الله قائماً في المسجد فقمت قريباً منه وأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله فقلت في نفسي والله إن هذا لَلعجز وإني امرؤ ثبْت ما تخفَى عليَّ الأمور حسَنها وقبيحها والله لتسمعنَّ منه فإن كان أمره رشداً أخذت منه وإلا اجتنبته فنزعت الكرسفة فلم أسمع قط كلاماً أحسن من كلام يتكلم به فقلت يا سبحان الله ما سمعت كاليوم لفظاً أحسن ولا أجمل منه فلما انصرف تبعتُه فدخلت معه بيته فقلت: يا محمد إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأخبرته بما قالوا وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول وقد وقع في نفسي أنه حق فاعرض عليَّ دينك فعرض عليَّ الإسلام فأسلمتُ[1].

(١) سير أعلام النبلاء ج/ ١ ص ٣٤٥.

مقارنة بين الإنسان وجهاز الحاسوب

جهاز الحاسوب هو عبارة عن آلة صممت بطريقة ذكية تجعلها تستقبل الأوامر التي تدخل إليها بطريقة معينة ثم تقوم بتنفيذها. وهذه الأوامر تسمَّى برامج نظم التشغيل وهي البرامج التي تساعد الحاسب على إدارة نفسه وهو آلة وثيقة الصلة بالإنسان صنعت لتحاكي وظيفة العقل البشري مع فارق التشبيه فخلق المولى سبحانه وتعالى لا يضاهيه شيء من صنع البشر، فالإنسان آلة ربّانية بالغة الدقة والتعقيد ونحن هنا باستخدام علم تحليل النظم نحاول تبسيط هذا النظام المعقّد لمحاولة فهمه وتحسين أدائه.

فالإنسان خُلِق لينفذ الأوامر التي تصل إليه من لدنْ خالقه العظيم، وكما في الحاسب فالإنسان مجموعة من النظم المتداخلة والتي تساعده على إدارة نفسه، ومما لاشك فيه أن أكيس الناس وأكثرهم كفاءة من كان أحسنهم استجابة للأوامر وتنفيذاً لها.

ويتألف جهاز الحاسوب من عدد من الأنظمة المرتبطة مع بعضها البعض لتكون جهازاً متكاملاً وآلة واحدة كما في الإنسان.

إن دراسة العلاقة بين الإنسان والحاسوب تكشف عن آلية

حديثة في الدعوة إلى الله بأسلوب العصر الحديث وينتج عن هذه الدراسة إمكانية برمجة هذا الحاسوب الرباني على النهج الذي وضعه له خالقه بطريقة منظمة ومتزنة.

(لابد من بناء عقلية البرمجة والتخطيط ودراسة الأسباب، وحصول النتائج واكتشاف مواطن الخطأ والعجز، وإعادة المحاولة أكثر من مرة، وقد نخطئ كثيراً ولا نظفر بالمطلوب في أكثر من جولة. . لكن على الأقل نطمئن إلى أننا وقفنا على الجادة وبدأنا طريق العودة إلى الإسلام)[١].

وبالنظر إلى جهاز الحاسوب قديماً وحديثاً نلاحظ ما طرأ عليه من تحديث؛ فتشغيل الحاسب قديماً كان يعتمد على ما يسمى بالدوز (Dos) ومع ظهور جيل البرامج الجديدة التي لا تفهم لغة الدوز ولا تعمل عليه جرى تحديث لبرامج الدوز وتطويرها ليتوصل الخبراء بعد ذلك إلى نظام الوندوز (windows) الذي سهل التعامل مع الحاسب واستخدامه لدرجة عالية من الدقة والفعالية. كذلك العقل البشري فمع التطور الهائل في المدنية الحديثة والتغير الشامل

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم، ص٢٠.

في معظم جوانب الحياة لم يقابل ذلك بتطور مماثل يواكبه في القدرات العقلية والمفاهيم التربوية للمستخدم لهذه المدنية المنظمة لذلك فإننا نجد بعض فئات من البشر لا تستطيع التأقلم على الوضع الجديد فعقولهم لا زالت تعمل على ما بُرمجت عليه قديماً من مفاهيم خاطئة وأسس مبنية على الجهل فنجد بعض الأقوام البدائيين غير المتحضرين إذا دخلوا أماكن متطورة وراقية كالفنادق الفاخرة أو المستشفيات أو أي من مرافق الدولة يتصرفون بطرق لا مسئولة وغير حضارية كالكتابة على الجدران أو تخريب الأثاث وتقطيعه أو حرقه بأعقاب السجائر، بل وتجد كثيراً من غير المهذبين ما إن تعرَّفوا على كيفية استخدام الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) والجوال إلا وتراشقوا بما يندى له الجبين من الفاحش من القول والمخل من الصور.

كذلك وسائل التقنية الحديثة التي نتج عنها اختراع القنابل النووية والذرية فإنه لما لم يواكب هذا التطور العقلي تطور تربوي مماثل ومساوٍ له فقد نتج عن ذلك الفساد والدمار الذي نراه في أنحاء العالم.

ومن المفارقات أن نجد رئيس وزراء كمبوديا هون سين يصدر قراراً بحظر استخدام الجيل الثالث من الهواتف المحمولة بعد شكوى من

زوجته وأصدقائها لتلقيهم صوراً إباحية عليها. وقال سين لجمعية رهبان بوذيين في فنومبينه : "لقد كتبت إلى وزير الاتصالات لإرجاء استخدام أنواع محددة من الهواتف المحمولة .. يمكننا الانتظار عشر سنوات أخرى إلى أن نتمكن من تعزيز الفضيلة في المجتمع"(١).

إن ديننا الحنيف يزخر بمبادئ التطور التربوي للإنسان فلو تبنَّيناه كمنهج حياة فإننا بذلك نسخِّر هذه المدنية من أجل مصلحة الإنسان والاستفادة من كل ما فيها من خير ونبذ ما فيها من شر وفساد.

(إن ترتيب الشخصية المسلمة وصياغتها وفق معطيات الكتاب والسنة لتجيء شخصية متفردة متميزة قادرة على العطاء، ووضع الضوابط الصارمة للتصور والسلوك كان من القضايا المحورية التي تركز عليها الكثير من الآداب والأحكام والتدريب عليها من خلال العبادات والطاعات، وكانت عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أُنيطت بكل مسلم في المجتمع الإسلامي ليكون حارساً أميناً عليها ضرورة لازمة لحمايتها وضمان استمرارها) (٢).

---

(١) جريدة المدينة عدد ١٥٧٤٠. الموافق جماد الأولى ١٤٢٧هـ.

(٢) حول تشكيل العقل المسلم ص٢٥.

وقبل أن نبدأ لابد أن نعرّف مفهـوم النظـام لأهميتـه وعلاقتـه الوطيدة بموضوع هذا الباب.

فالنظام : بمفهومــه العلمـي (system) هـــو مجموعـة مـن المكونات المرتبطة بعضها ببعض ـ قد تكون مجموعة مـن الـبرامج أو الأجهــزة أو الأعضــاء أو الأحكــام والقواعــد أو الإجــراءات أو الأوامر أو أدوات معينة أو مجموعة من الأفراد... إلخ ـ والتي تعمل في خدمة غرض مشترك، أو لتحقيق هدف معين وعـادة مـا تتطلـب نوع من الإدارة المنظمة.

وسوف نذكر نوعين من النظم :

١- نظام الأعمال (business system).

٢- نظام المعلومات (information system).

يهتم نظام الأعمال بإنجاز أعمال محددة فيعتبر المصـنع عـلى سـبيل المثال نظاماً للأعمال. ويهدف هذا النظام إلى تصنيع منتجـات. ويمكـن أن ينقسم نظام الأعـمال إلى مكونـات أصـغر، أو نظـم فرعيـة أخـرى، كنظام فرعي لصيانة المصنع وآخر لتجميـع المنتجـات وغـيره لطلبـات العملاء ورواتب الموظفين وهكذا تكون كل هذه النظم الفرعيـة جـزءاً من نظام الأعمال الشامل وإذا مـا أديـرت هـذه الـنظم بصـورة منظمـة

وسلسة فإنها بذلك تحقق الأهداف المحددة للتنظيم بأكمله.

أما نظام المعلومات فمهمته إدارة البيانات التي يحتاجها نظام الأعمال. فنظام المعلومات وُجد لخدمة نظام الأعمال وهو أحد أجزائه فهو يحتوي على السجلات أو الحقائق والأرقام المختلفة لتشغيل نظام الأعمال[1].

ومما لا شك فيه أن المعلومات تعتبر مورداً ثميناً لأي نظام أعمال. فمن الصعب على أي إدارة أو هيئة أو إنسان أن يتخذ قراراً صائباً دون توفر المعلومة الدقيقة والموثوقة. ولو نظرنا إلى هذا الكون نجده في الحقيقة نظام أعمال هائل يحتوي عددا من الأنظمة الفرعية، فهذه الأفلاك التي تدور في الفضاء، وهذه الشمس التي تدور حول نفسها، وهذا القمر الذي يدور حول الأرض، كل يؤدي دوره، كل يمتثل لما أمر به في نظام وترابط وتجانس لينشأ عن ذلك الدوران الفصول الأربعة، وتعاقب الليل والنهار.

وهذه الأرض وما فيها من كائنات ومن جمادات كلها تؤدي دورها وتخضع للواحد القهار كلٌّ يؤدي دوره بسلاسة وانسجام إلا الإنسان هذا

---

(١) انظر تحليل وتصميم النظم ص ٣٠-٣١.

الكائن المتمرد ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج: ١٨]. فيا ترى لماذا التمرد.. لماذا الشذوذ والخروج عن هذا الانسجام وهذا التجانس؟ تتلخص الإجابة في أن جميع الكائنات تعمل مع هذا الكون الهائل كتروس في آلة لا مناص لها من العمل فهي مسيّرة مقهورة، أما الإنسان هذا الكائن العجيب فإن الخالق أراد له أن يعمل باختياره.

﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الزمر: ٧].

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

فأنزل له نظامًا متكاملاً ليقوم هو بتشغيله ليعمل في سلاسة

وترابط مع نفسه ومع ما يحيط به. فإن عصى ولم يتبع النظام الذي أُمر أن يسير وفق ما جاء فيه من أمر ونهي فإنه بذلك سيؤثر بمخرجاته الفاسدة على نفسه وصحّته، وعلى من حوله، بل وعلى الكون بأكمله.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: ٤١].

فالإنسان نظام أعمال أيضاً يحتوي على عدة نظم فرعية أخرى تعمل مع بعضها البعض لتحقيق هدف معين.

(إن الإنسان بمجرد انتمائه إلى هذا الدين، يضع نفسه وقدراته في سياق واحد، وتوجه واحد، ومجرى واحد مع خلائق الله كافة، وسننه المذخورة في الطبيعة، ونواميسه العاملة في الكون... إنه سيتجاوز مواضع الارتطام التي تفتّت الطاقة وتُضعف فاعليتها إلى الانسجام والتناغم مع السنن والنواميس، سوف يضيف إليها ويأخذ منها.. ومن هذا الشد المتبادل من هذا الوفاق.. من هذا الأخذ والعطاء على الدرب الواحد. . يتحول الإنسان المؤمن إلى طاقة فذة في ميدان العمل والإنجاز. . قدرة مذهلة في مجال العطاء والإبداع. . شعلة متوهجة يمتد شعاعها إلى أعماق الذات فيضيئها

ويدفعها إلى آفاق العالم فتتبين معالم الطريق...) [(١)].

فكما أن الإنسان هو نظام الأعمال فإن هذا الدين القويم هو نظام التشغيل الأمثل له.

ومما لاشك فيه أن المعلومات تعتبر مورداً ثميناً لأي نظام أعمال. إذ من الصعب على أي إدارة أو هيئة أو إنسان اتخاذ قرارات صحيحة دون توفر معلومات دقيقة وموثوقة. والقرآن الكريم هو أوثق مصدر معلوماتي على وجه الأرض تليه السنة المطهرة الصادرة ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ. فالإسلام إذن هو بحق (النظام المعلوماتي) الأمثل لتشغيل هذا الإنسان على هذه الأرض.

يقول الدكتور عماد الدين خليل[(٢)]:

(إن الانتماء إلى الإسلام يعني الموافقة المبدئية على الدخول في عمل مبرمج مرسوم فالإيمان بالله يعني التحقق بالقناعات الكافية

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ص٤٤.

(٢) من مواليد الموصل عام ١٣٥٨هـ حصل على إجازة الآداب بمرتبة الشرف من جامعة بغداد ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه في التاريخ الإسلامي بمرتبة الشرف من جامعة عين شمس بالقاهرة له عدة مؤلفات فكرية وأدبية وتاريخية .ويعمل أستاذا بجامعة صلاح الدين بالعراق.

بجدوى ما يقوم به من أعمال أما التقوى فهي الطاقة الفذة التي تشعل مصباح الضمير فيظل متألقاً متوهجاً حتى يغيب الإنسان في التراب ما دام يشعر في كل عصب وجارحة وخلية أن الله يراقبه وهو يمارس هذا العمل أو ذاك. . . ويجيء الإحسان لكي يضع الإنسان المسلم المؤمن التقي.. في القمة .. في المصافِّ الأعلى حيث الإحسان.. الإبداع الكامل في كل ما يقدمه الإنسان.. إنه ها هنا يقف أمام الله سبحانه وإن نداءً كريماً من نبيه ﷺ ينفخ فيه اللحظة تلو اللحظة أن الله يحب منه إذا عمل عملا أن يتقنه ..) [(١)] (والدين في المنظور الإسلامي هو (منهج شامل) للحياة يتحرك (الإنسان) على (أرضية العالم) وفق مقولاته وتوجهاته وخططه وأهدافه، ويمارس (استخلافه) الحضاري للطبيعة التي (سخرت) له وفق تعاليمه ومعطياته ... ودونه يضيع الإنسان، ويفقد القدرة على أداء وظيفته المرسومة. أي ـ بعبارة أخرى ـ يفقد إمكانية تنفيذ دوره المرسوم في طريق الرقي الصعب الطويل. وهكذا تلقى آدم منذ لحظة هبوطه

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ص٤٣.

الأولى (كلمات) من ربه لتكون بمثابة الهادي والدليل...) [(١)].

فلو نظرنا كيف كانت العقلية الوثنية قبل الإسلام من عبادة الحجارة ووأْد البنات والخرافات والأضاليل المنتشرة وكيف كان مستوى التفكير آن ذاك والذي كان يكاد ينحصر في تحقيق الشهوات والسعي وراءها، وكيف ارتقى الإسلام بهذا التفكير فصقل العقول وجلَى الأفهام حتى عادت تنظر بنور الله وتبصر ببصره وتحكم بحكمه.

ولما سبق علاقة وطيدة بالإنسان والقرار. فهذا الإنسان آلة بالغة التعقيد ومن أهم الأمور لتطوير آلة ما وتحسين أدائها وتنسيق مخرجاتها بما يتوافق مع الهدف الذي صنعت من أجله هو محاكاتها أو تمثيل أدائها بطريقة تجريبية مبسطة، ثم تطبيق ما يمكن تطبيقه عليها حتى نتمكن من التطوير والتقدم في التعامل معها.

وبالتمعُّن في هذا الإنسان نجد أنه أشبه ما يكون بجهاز الحاسوب مع فارق التشبيه. وقد تناولنا بإسهاب مكونات الإنسان في باب جهاز اتخاذ القرار بما يغني عن تكراره إلا أنه من المناسب التعريج عليه باختصار لإيجاد العلاقة بينه وبين الحاسوب ونوجزها

---

(١) المصدر السابق ص١٢٥.

في هذا الشكل :

الحاسوب	الإنسان
أجهزة الحاسوب	الجسد
الطاقة المحركة electricity	الروح
كرت التشغيل	الفطرة
المعالج processor	القلب وما يسكنه
أجهزة الإدخال Input system	جميع الحواس
اللوحة الأم Mother board	العقـــــــل
الذاكرة بنوعيها memory	الذاكرة بنوعيها
نظم التشغيل كالنوافذ	الدين (أوامره ونواهيه)
المخرجات Out put	القرارات
الفيروسات (viruses) والهاكرز (hackers)	الشيطان والنفس الأمارة والهوى
برامج الحماية Anti-virus	التحصين والذكر

فكما أن الجسد يعتمد في تشغيله على الروح، كذلك الحاسوب يعتمد في تشغيله على تيار الطاقة الذي يسري في تلك الآلة ليحركها. يُولَد الإنسان مزوداً بالفطرة والغرائز كالخوف والطمأنينة ومصِّ الثدي ليتمكن من البقاء على قيد الحياة بداية عند غياب المعلومة ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

لذلك نجد أن الطفل حديث الولادة يحرك أعضاءه بطريقة عشوائية في بادئ الأمر ثم يتعلم ممن حوله ويبدأ في الاستجابة شيئاً فشيئاً لما يلقى إليه من أمر ونهي. كذلك الحاسوب يبدو شاشة مضيئة وأجهزة مدارة، ثم يزود بكرت التشغيل ليقوم بفهم ما يلقى إليه من أوامر ثم بعد تزويده بالمعلومة؛ فهو إذن يعتمد بعد ذلك في تشغيله على المعلومة.

تدخل هذه المعلومة في الإنسان عن طريق أجهزة الإدخال (الحواس) وتعمل هذه الأجهزة عمل لوحة المفاتيح والقرص المرن، ومحرك الأقراص في جهاز الحاسب.

بعد دخول المعلومة في الإنسان عن طريق أجهزة الإدخال (الحواس) وأخصُّها السمع والبصر تصل إلى الفؤاد والنفس التي تسكنه وهو هنا أشبه بالمعالج (processor) الجهاز الذي تعالَج فيه المعلومة من حيث القبول والرد واتخاذ القرار. وهذا مصداق قوله ﷺ: ((... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))[(١)].

أما العقل فهو اللوحة الأم (mother board) التي تسخِّر بقية الأعضاء وتحثُّها على تنفيذ القرار (المخرجات).

وبما أن كل نظام لابد له من نظام معلوماتي لتشغيله، فإن نظام تشغيل الحاسب هو النوافذ (windows) ونظام تشغيل الإنسان الأمثل هو الإسلام كما أسلفنا لأنه صادر من لدنْ خالق الإنسان نفسه الأعلم به، أرأيت لو أن شخصاً ابتاع آلة دقيقة الصنع وأراد تشغيلها بسلاسة على الوجه الذي صُنعت له ألا يتِّبع الإرشادات

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه، ج/١ ص٤١ورقمه ٥٢.

المفصَّلة في الكتيب المرفق معها من صانعها ؟ وهبْ أنه قام باتباع إرشادات من هنا وهناك أو من كتيب لصانع آخر لا يمتُّ لهذه الآلة بصلة، أكانت تعمل على ما يرام ؟ كلا بالطبع ولكان ذلك سبباً في تلفها. فالإنسان أوْلى باتباع إرشادات خالقه وما جاء من عنده لتطيب حياته وآخرته. وما هذه الإرشادات إلا النظام التشغيلي الذي أشرنا إليه سلفاً.

وهذا النظام يتألف من مجموعة من العناصر المرتبطة بعضها ببعض (وهي بلا شك الأوامر والنواهي) لتحقيق هدف معين باستخدام الموارد وحساب المتطلبات.

والمتطلبات[(١)] هي الحاجات الدنيوية التي ينبغي أن يأخذها الفرد في الحسبان لما تفرضه عليه طبيعته البشرية فيحاول استيفاؤها باعتدال وتوسط أثناء تحقيقه للهدف حتى لا تطغى عليه.

فإن طغت عليه انقلبت إلى عوائق تحول بينه وبين وصوله

---

(١) انظر كتابنا الاستثمار الأمثل ص٢٥ .

للهدف أو الارتقاء فيه وتحقيق أعلى درجاته لـذا ينبغـي التوسـط في أدائها والبعد عن الإسراف.

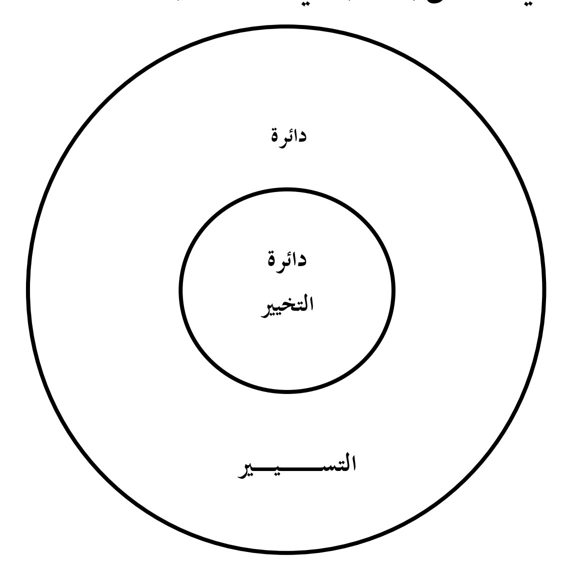
فالإسلام إذن هو النظام الأمثل لتشغيل هذا الحاسوب الرباني ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وأي حذف من أجزاء هذا النظام أو إهمال في تنفيذه يؤدي إلى عرقلة في سلاسة تشغيل النظم ككل قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: ٤١]. فلا بد من أخذه بجميع ما جاء فيه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي ادخلوا في الإسلام جميعه فلا تأخذوا بعضه وتتركوا بعضه فتخسروا. فالعرقلة إذن سببها فعل المنهيات وترك بعض المأمورات وذلك هو ما نعنيه بالإهمال أو الحذف في أجزاء نظام التشغيل، أما أنواع العرقلة فهي المصائب والأحزان والمعيشة الضنك ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه : ١٢٤] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] فالحذف في أجزاء النظام يفرط العقد ويخلخل تماسكه، وكلمة (فرط) هذه ينبغي أن نتأمل فيها. فالعامة عندنا يسمون حبات العنب الساقطة من عنقودها أو حبات البلح الساقطة من عرجونها (فرطاً). وانتزاع حبات الأذرة من كيزانها المتراصة تمهيداً لطحنها تشتق تسميته من المادة نفسها. إذا تقطَّعت أواصرها ولم يربطها نظام ينسق شئونها ويركز قواها، أصبحت مشاعرها وأفكارها كهذه الحبات المنفرطة السائبة لا خير فيها ولا حركة لها. ومن ثم نرى ضرورة العمل الدائم لتنظيم النفس وإحكام الرقابة عليها. . .) [1]. وقد وعد الله عباده السائرين إليه وفق نهجه الذي شرعه وارتضاه لهم بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة فقال عز من قائل : ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟

(١) محمد الغزالي، جدد حياتك، ص١٧، ١٨.

يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧]. فالحياة الطيبة إذن هي تلك الكفاءة الناتجة عن جودة التشغيل. ومما لا شك فيه أن إنتاجية الفرد في الحياة تقاس يوم القيامة بالحسنات والسيئات والفرق بينهما في عملية طرح هذه من تلك ينال بها بعد عفو الله درجة في الجنة أو دركة في النار (عياذاً بالله) يسكن بها حياته اللانهائية.

وبما أن حياة المسلم تتراوح بين مأمورات ومنهيات، وهي دائرة التخيير التي أتيحت له؛ فلا بد له فيها إذن من اتخاذ القرار وهو الامتحان الذي امتُحن به العبد في هذه الدنيا.



فدائرة التخيير محدودة في نطاق المأمورات والمنهيات فحسب

وهى الأمور الشرعية التي يخيَّر في اتباعها واتخاذ القرار الأمثل حيالها، فهي مادة اختبار الإنسان كما أسلفنا وما سوى ذلك فهو مسير فيه، مقهور مستسلم، وليس له يد في البتِّ بأيٍّ مما جاء فيها. ودائرة التسيير أكبر من دائرة التخيير بكثير فالإنسان مسيّر من حيث وجوده على هذه الأرض ومدة مكوثه وزمنه فليس له الخيار أن يولد في هذا العصر أو في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام مثلاً كما أنه ليس مخيَّراً في أن يولد لأبوين مسلمين يسلِّمانه أو يهوديين فيهودانه وليس له الخيار في أن يكون من أهل هذه البلدة أم تلك، كما أنه لا دخل له في تحديد مقدار رزقه ولا مستقبله على وجه الدقة كما يدَّعي بعض دعاة البرمجة العصبية ولا تحديد جنسه أو لونه فهذه كلها أمور مقدَّرة عليه لا دخل له فيها فليترك مالا شأن له فيه وليلتفتْ إلى مادة اختباره وليحسن العمل قبل انتهاء الأجل.

واتخاذ القرار (في دائرة المأمورات والمنهيات) يستمد المعلومات من (نظام التشغيل) فهو الذي يمده بالمنهجية أو الطريقة التي يجب ألا يحيد عنها إلى البدع والضلالات، فهو نظام رباني لتشغيل الإنسان

مبنيٌّ على أساس المسابقة والاستكثار من الحسنات والتقليل بقدر الإمكان من السيئات فينشأ عن ذلك التفاضل بين البشر بحسب تحقيق الإيمان والصعود في درجاته للوصول إلى التقوى والإحسان.

قال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٤] ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢].

(فالإيمان بالله هو التحقق بالقناعات الكافية بجدوى هذا العمل .. أما التقوى فهي تلك الطاقة الفذة التي تشعل مصباح الضمير فيظل متألقاً متوهجاً حتى يغيب الإنسان في التراب ما دام يشعر في كل عصب وجارحة وخلية أن الله يرقبه وهو يمارس هذا العمل أو ذاك...

ويجيء الإحسان لكي يضع الإنسان المسلم المؤمن المتقي في القمة. . في المصاف الأعلى حيث الإحسان. . الإبداع الكامل في كل ما يقدمه الإنسان)[(١)]. فهذا الدين يرسم له الخيار الأمثل في حالة تعدد الخيارات من خلال الاستغلال الأمثل للوقت، فقوله تعالى: ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ يبين بوضوح اغتنام الزمن واستغلاله لتحقيق أكبر قدر من المعطيات التي ما تلبث أن ترتقي بمقاييس الكم والنوع وترتقي بالمسلم من مرحلة الإسلام والإيمان إلى المراحل الأعلى[(٢)] وفق أسس ثلاث:

١- التنويع.

٢- الإتقان.

٣- الإكثار.

فكلما نوَّع العبد في الأخذ بالأوامر جميعها قدر استطاعته ومنها (العبادات والمعاملات) نُوّع له في الثواب. وكلما أتقن وأحسن حُسّن له ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم.ص ٤٣.

(٢) انظر المصدر السابق ص١٣٨.

وكذلك كلما أكثر عُدِّد له وأُكثر ففي الحديث : ((من قرأ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة)) قال عمر ﷺ[1] لرسول الله ﷺ إذن نستكثر يا رسول الله. قال: (الله أكثر وأطيب) [2] لذا فإن من مميزات اتباع هذا الدين القويم السلاسة والمرونة وأي شذوذ أو خلل في التطبيق يؤدي بدوره إلى خلل أو عرقلة جزئية في التشغيل. قال بعض السلف : (إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلُق خادمي ودابتي) [3] وقال آخر لرجل أغلظ عليه في الكلام : أستغفر الله من ذنب سلَّطك به عليَّ[4].

وها هم الرماة في غزوة أُحُد[5] لما عصوْا أمر الرسول ﷺ انهزم المسلمون.

---

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل، ثاني الخلفاء الراشدين، بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ثلاث عشرة للهجرة. مات مقتولاً سنة ثلاث وعشرين. انظر صفة الصفوة ص ١٣٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده(٣/ ٤٣٧). وقال الألباني: بلغ رتبة الحسن على أقل الدرجات، الصحيحة رقم ٥٨٩.

(٣) جامع العلوم والحكم ص١٨٧.

(٤) تاريخ مدينة دمشق،ج ٦٧ ص ٢٤٢.

(٥) غزوة أحد سبق التعريف بها ص٢٨.

وفي الحديث أن أبا بكر ﷺ قال : يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآيـة : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾ [النساء :١٢٣].

فكل سوء عملْنا جُزينا به فقال رسول الله ﷺ : ((غفـر الله لـك يا أبا بكر ألست تمرَض، ألست تحزن، ألست يصيبك اللأواء ؟ قـال بلى قال فهو ما تُجزَوْن به)) (١).

وكلما زاد التفريط في المأمورات، نقصت تبعاً لذلك كفاءة التشغيل. فاتباع المأمورات فيه صلاح المجتمعات وأي خلل في تطبيقها ينعكس بصورة فساد أو ضرر يلحق بهم ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال المفسرون في قوله ولا تفسدوا في الأرض بعد إصـلاحها :

---

(١) مسند الإمام أحمد،مسند أبي بكر الصديق، ورقمه ٦٨وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط صحيح بطرقه وشواهده.

لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها وذلك هو الفساد فيها[١].

(فالإصلاح والإعمار المنوطان بالاستخلاف في الأرض مسائل تتداخل فيها كل الفاعليات الحضارية، مادية وأخلاقية وروحية. وإن أي ضرر أو إفساد يلحق بأحدها ينعكس بشكل أو بآخر على الجوانب الأخرى)[٢].

ولعل هذا يفسر واقع المسلمين اليوم وما هم فيه من ذلة وما يعانون من ويلات ويقاسون من اضطهاد مع كونهم يدْعُون ويلحُّون في الدعاء ولا يستجاب لهم.

وانظر إلى الذين قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض فقد كان جزاؤهم العرقلة التامة والعياذ بالله فلهم فوق ما يصيبهم في الدنيا العقاب المؤجل في الآخرة و بئس المصير.

ويجدر بنا أن نسأل عن سبب تخلي العبد عن اتباع نهج ربه وتعريض نفسه للعراقيل تصيبه وتفسد عليه حياته ؟ والجواب هو ذلك العدو اللعين الذي يتربص بالإنسان فيوسوس له ويسعى بكل

---

(١) تفسير الطبري ج٨/ ٢٠٧.

(٢) حول تشكيل العقل المسلم، ص١٤٠.

ما أوتي من أساليب وطرق خبيثة بعون من النفس الأمارة بالسوء والهوى والشهوات ليقعد له في طريقه وينحرف به عن الصراط المستقيم. فيعمل في الإنسان عمل (الفيروس في جهاز الحاسوب) فالأخير يدخل ويقتحم النظام من داخله فيفسد البرامج ويعرقل مسارها كذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ويوسوس له في صدره فيزين له المعاصي حتى يخرج عن المأمورات كلية والعياذ بالله. أو ينسيه بعض الطاعات وأوقاتها ليفوت عليه أجرها.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يوسف: ٤٢].

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ

ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩].

فالنسيان من الشيطان بداية، أما وسائل إصلاح الخلل.. فهي بلا شك التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة.

وأما سبل الحماية من هذا العدو الخبيث.. فهي آيات التحصين المعروفة. واعلم أنك كلما جمعت أكثرها اشتد حصنك وقويت أركانه، وإذا جمعتها كلها فلا يكاد هذا العدو يراك في فج إلا سلك غيره بإذن الله ونوجزها كما يلي:

١ ـ الاستعاذة ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل: ٩٩].

٢ ـ الإخلاص والمعوذات:

عن عُقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: ((يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم. قلت: بلى جعلني الله فداءك. قال: فأقرأني ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾

و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثم قال : يا عقبة لا تنسَهنَّ ولا تَبِتْ ليلة حتى تقرأهن)) [1].

٣ ـ قراءة سورة البقرة، أو آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة.

قال رسول الله ﷺ : ((الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه))[2] وفي الحديث : ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))[3].

عن أبي هريرة ﷺ قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذتُه فقلت لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ فقص الحديث ((فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فلن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح)). وقال النبي ﷺ :((صدقك وهو كذوب ذاك شيطان))[4].

(١) مسند أحمد، ورقمه١٧٣٣٤. وقال الأرناؤوط حديث حسن بطرقه.

(٢) صحيح مسلم، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ورقمه ٨٠٧.

(٣) صحيح مسلم، ج١ ص٥٣٩.

(٤) صحيح البخاري، باب فضل سورة البقرة، ورقمه ٤٧٢٣.

٤ ـ قول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير).

قال ﷺ: ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكُتبت له مائه حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)) (١).

٥ ـ كثرة ذكر الله ففي الحديث: ((... وآمركم بذكر الله كثيراً وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان قي ذكر الله عز وجل...)) (٢).

٦ ـ الوضوء والصلاة. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٧ ـ إمساك فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة بالناس. لأن

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص١١٩٨.

(٢) جزء من حديث في مسند أحمد ورقمه ١٧١٧٠. وقال الأرناؤوط حديث صحيح.

النظرة سهم من سهام إبليس. وفضول الكلام تفتح أبواب الشر وكما في الحديث حين سأل معاذ ﷺ رسول الله ﷺ فقال : وإنا لَمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ((ثكلتْك أمُّك يا معاذ وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))(١). وفضول الطعام سبب للغفلة والتكاسل عن الطاعات وفي الأثر (ضيِّقوا مجاري الشيطان بالصوم) (ولما كان الصوم يسد عليه باب الشهوات ويضيِّق مجاري الشيطان كان كالجُنَّة من النار فإنه يتترَّس به من سهام إبليس))(٢). أما كثرة المخالطة بالناس فهي سبب كثير من العداوات وأمراض القلوب والالتهاء بالدنيا عن يوم المعاد.

كما أن هناك مؤثرات أخرى تؤثر في تفعيل هذا النظام وتنقسم إلى قسمين :

١ـ مؤثرات يمكن التحكم فيها، أو التصرف حيالها تسمى المتغيرات المتحكّم فيها (control variables) أو متغيرات

---

(١) سنن الترمذي ج٥/ ص١١ وصححه الألباني ورقمه في الصحيحة ٣٢٨٤.

(٢) حاشية ابن القيم، باب غيبة أهل الفساد و الريب، ج١٣ ص١٦٨.

القرار (Decision variables) وهي القرارات الصادرة من الشخص نفسه باختياره .

٢_ مؤثرات لا يمكن التحكم فيها وتسمى متغيرات غير متحكّم فيها (uncontrol variables) أو متغيرات مقرّرة ومفروضة (state variables) كالقضاء والقدر من مصائب أو مرض أو موت وكالكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وغير ذلك، وهي أمور طارئة تفرض على الإنسان ولا يمكن التصرف إزاءها ولكن يمكن تقويم قرارات الفرد تجاهها وتحسين ردّة الفعل في التعايش معها.

فهناك أربع درجات من القرارات تصدر عن الأفراد كل منها تتفاوت وتتضمّن ردود أفعال متباينة تجاه تلك المتغيرات:

١- **السُّخط أو الجزَع** : وهو ردّة فعل سلبيّة ،تبيّن العجز عن تقبّل أسوأ الظروف والتعامل معها، وهو قرار يعاقب عليه الإنسان، كالنياحة عند المصيبة ، والانتحار عند الاكتئاب.

٢- **الصبر** : وهو ردّة فعل إيجابيّة، وهو بديل يثاب عليه الفرد بحسب درجته ويجزيه الله بما لا يحتسبة من الأجر والثواب قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

٣- **الرضا**: وهو كذلك ردّة فعل إيجابية ، وهو أعلى من الصبر فهي درجة المؤمن المطمئن إلى حكم مولاه ، ويثيبه الله عليها بالرضا عنه ورفع درجته.

٤- **الشكر** : وهي ردّة فعل إيجابية، ودرجة راقية من درجات اليقين والإيمان بالله وهي أعلى من درجة الرضا، ولا يصل إليها إلا القليل ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

ويجب أن نعلم أن الفرد منا يعيش في منظومة مترابطة مع بعضها البعض وسلسلة متصلة يؤثر كل منها في الآخر فسلوك المرء محكوم بجميع عناصر هذه المنظومة التي يحيا بداخلها ولهذا فإن ديننا لا يقتصر على أداء العبادات المحضة بل يتعداها إلى المعاملات مع الأسرة، الأهل، الأقرباء، الجيران، المجتمع، البيئة، الدولة، المسلمين، الناس، المخلوقات. وكلما كبر الفرد كبرت دائرة مسئولياته في الحياة، واتَّسع محيط علاقاته مع عناصر المنظومة وتأثيره فيها[1].

---

(١) انظر دائرة تأثير القرار في باب أنواع القرارات.

فدائرة اتصال الرضيع على سبيل المثال أول ما تكون مع أمه، ثـم مع أبيه وإخوته، ثم يشبُّ عن الطوق وتتسع علاقاتـه فتشـمل صـحبه وجيرانه وهكذا تكـبر دائـرة الاتصـال، وتـزداد العنـاصر التـي تحكـم قراراتنا وتصرفاتنا. ولهـذا أجمَـلَ رسـول الله ﷺ نـوع هـذه العلاقـات وحـددها بقولـه : ((لا ضرر ولا ضرار)) (١) فكـل إنسـان حـرٌ ولكـن حريته محكومة ومشروطة بعدم إلحاق الضرر بنفسه أو الآخـرين. فهـي ليست كحرية الغرب المنفتحة بلا شرط أو قيد؛ فالفرد منهم قـد يخـرج عارياً على الملأ إن بدا له ذلك، أو يـزعج الآخـرين بحفلاتـه الصـاخبة وتصرفاته اللاأخلاقية.

ومما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين يلتبس عليهم مفهوم الحريـة في الإسلام حتى في أبسط الأمور : فهذه الأسرة التي خرجت للنــزهة، يجلس أفرادها في مكان عام كشاطئ البحـر أو إحـدى الحـدائق العامـة فإذا فرغوا قاموا وتركوا ما وراءهم من مخلفات وهم بـذلك قـد أضروا بمن وراءهم، بــل إنهـم قـد أضروا بأنفسـهم قبـل كـل شيء وبالبيئـة

(١) موطأ مالك، باب القضاء في المرفق، ج٢ص٧٤٥.

والدولة وربما انتشرت بسبب ذلك الأمراض والأوبئة وكلف الدولة الأموال الطائلة لرفع مخلفاتهم وما نجم عن ذلك من أضرار. وقد يخرج أحدهم بسيارته ويدير جهاز التسجيل وإذا بالموسيقى الصاخبة والأغاني الماجنة تؤذي جميع من حوله وتلوث أسماعهم، ومثله المدخن الذي ينشر دخان سيجارته في الأماكن العامة فيؤذيهم برائحته ويسبب لهم أمراض الصدر والرئتين. وذلك الذي يعبث بقلمه على جدر وحوائط الغير، وغيرهم كثير فقد يتخذ أحدهم قراراً غير مسئول نابعاً من مفهومه الخاطئ للحرية فيتضرر بسببه آخرون سواء شعر بذلك أم لم يشعر وقد يعلم ذلك ولا يبالي لأنه يرى أنه لم يعتدِ على أحد. آه لو ترتدع هؤلاء النساء السافرات المتبرجات عن فعلهن ويعلمن كم أغوين وفتَنَّ وتضررت بأفعالهن البلاد والعباد.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠]. فقد يكون الذنب شؤماً على صاحبه وعلى المجتمع بأكمله كما أخبر بذلك صلوات الله وسلامه عليه ففي الحديث أنه دخل فزِعاً يقول ((لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج

ومأجوج مثل هذه)) وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها فقالت زينب بنت جحش رضي الله عنها : (أنهلِك وفينا الصالحون) قـال : ((نعـم إذا كثر الخبث)) [(١)].

فما قحطت الأرض، ولا انتشر الوبـاء وزاد الغـلاء ولا تمكَّـن الأعداء إلا بشؤم تلك الذنوب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]. فـما أجمل أن يفهم الإنسان أنه لا يعيش على هذه البسيطة وحده. بل هو حلقة في سلسلة وترس في آلة مع ما يحيط به في هذه الأرض. فينبغي عليه تعاهد سلاسة سيْره كما نتعاهد التروس بالتزييت والتشحيم وعدم خروجها عن المنظومة التي تدور فيها.

كيف يتم تشغيل النظام :

(إن الانتماء إلى الإسلام يعني الموافقة المبدئية على الـدخول في

---

(١) الحديث في صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يأجوج ومأجوج، ج٣ ورقمه ٣١٦٨.

عمل مبرمج مرسوم) [١].

ولتشغيل أي نظام وتفعيل هذا الدين القويم في عقولنا، لتتفاعل معه قراراتنا، بشكل صحيح وبأقصى فاعلية لابد من تعريف ثلاثة مكونات للنظام المتعلقة به :

١- وهي مجموعة العناصر (component).

٢- العلاقة أو الصلة (link) التي تربط الإنسان بهذه العناصر.

٣- صفة هذه العلاقة أو نوعها (attribute).

أما بالنسبة لمجموعة العناصر فتنقسم إلى قسمين:

أ- عناصر و أمور غير مرئية (غيبيّة).

ب - عناصر مرئية (مشاهدة).

- فالعناصر و الأمور الغيبية يتم التعرّف عليها عن طريق الإيمان بأركان الإيمان الستة وتحويل ما أمكن منها إلى مشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه) وذلك من خلال التعرف على أسمائه وصفاته لا في ذاته.

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ص٤٣.

ويتعرف على الجنة والنار وأحداث الدار الآخرة وذلك بتحويلها إلى عالم الحسِّ[١] والخيال[٢] وينظر إليها ببصيرته لا ببصره. والإيمان بها يوجب على المؤمن تدبرها وتفعيلها وأن يجد لها أثراً في حياته اليومية؛ فالإيمان بالله يوجب على المسلم تجديد إيمانه يومًا بعد يوم، وتعلُّم أسماء الله الحسنى وصفاته العلى يوجب تدبرها والدعاء بها ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والتعبد بمقتضاها؛ فالغفور يعلِّمنا الرجاء وطلب العفو، والقويُّ يعلمنا الخوف والرهبة عند المعصية، والرزاق يدعونا إلى سؤاله من فضله وهكذا. والتأسِّي بمعانيها؛ فالحليم يعلمنا الحلم،

(١) وذلك كأن تتخيل أجمل بقاع الدنيا بالنسبة إليك ثم تنقيها في مخيلتك ممَّا يعكر صفوها ويشوب جمالها كأن تتخيلها بكل ما فيها على درجة واحدة الرقي والجمال من القصور الفارهة والفنادق الفاخرة والطبيعة الساحرة وتنفي عنها جميع ما يعكر جمالها من الأحياء القديمة والأوساخ وسائر الآفات ثم توقن بأن جنة الخلد حتماً أفضل من ذلك فهذا يساعد على العمل لها والتشمير عن ساعد الجد لنيلها..

(٢) وللحارث المحاسبي كتاب التوهم في تخيل يوم القيامة.

والصبور يعلمنا الصبر، والكريم يعلمنا الكرم وما شابه ذلك.

وكذا الإيمان بالملائكة : أن نقرأ عنهم ونعلم الأماكن المحببة إليهم وأسباب نفورهم من غيرها كوجود الكلب والصورة مثلاً، وأن نؤمن بالكَتَبَةِ منهم عن يمين كل امرئ وشماله، وبالملائكة التي تحضر مجالس الذكر وأن نستشعر وجودهم معنا. ومن أمثلة انفصام المعلومة عن القرار أن كثيراً من الناس ممن أصيبوا بالسّحر مثلاً (شفاهم الله) يطلبون الشفاء وفك السحر لدى العلماء والقرّاء ثم تجد منازلهم عامرة بما يقرّب الشياطين وينفّر الملائكة من تماثيل وصور ولباسهم المحدِّد للعورات المتشبه بالكفرة والفساق بالإضافة إلى سماعهم المعازف والقيان وهم يعلمون ذلك ولكنهم ليس عندهم من العزيمة وقوة اليقين ما ينشّط تلك المعلومات ويُفعّلها.

- وإيجاد العلاقة بين جميع العناصر الغيبية والإنسان يتم عن طريق العبادات. ولتسهيل الأمر لابد من البدء بالأولويات والتركيز على أدائها وإتقانها كالفروض والواجبات ثم الزيادة التدريجية، وكلما ازداد العبد من الطاعات ازدادت بصيرته صقلاً ولمعاناً حتى يرى بها أمور الآخرة وكأنه يراها رأي العيْن، وفي الحديث أن الحْارِثِ

بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهَّ ﷺ فقال له كَيْفَ أَصْبَحْتَ يا حَارِثُ قال أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا فقال انْظُرْ ما تَقُولُ فإن لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً فما حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ فقال قد عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي وَاطْمَأَنَّ نَهَارِي وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فيها وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فيها فقال يا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ ثَلاثًا)) [١].

وكل أمر من أوامر العبادات في الغالب يتراوح بين حدّ الإجزاء وحد الكمال حتى الإسلام ككل فإن حد الإجزاء فيه هو الأركان الخمس بناءً على حديث (أفلح إن صدق) فإذا أخذ بها طولب بالواجبات فإن أخذ بها ينـدب له بعد ذلك المستحبات والمندوبات وسائر الطاعات، والمسلم مطالب بالترقّي في العبادة والتحسين فيها والإكثار منها والتنويع قال تعالى :

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

---

(١) المعجم الكبير ج٣:ص٢٦٦ ورقمه٣٣٦٧. والحديث فيه ابن لهيعة ولم أقف على تخريجه. ولكننا نستأنس بمعناه.

ومن الأهمية بمكان عدم النظر إلى كل آية وحديث بمعزل عن غيره وتطبيق ما جاء فيه على حِدة، فذلك يؤدي إلى التسطُّح وضحالة الفكر، إذ لابد من وضعه في منظومة متكاملة. ولنضربْ مثالاً على ذلك قول الرسول ﷺ للأعرابي الذي جاء يسأله عن الإسلام فدلَّه على الأركان الخمسة فولَّى وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال ﷺ : ((أفلح إن صدق)). فعند وضع هذا الحديث في منظومة نجد أن الرسول ﷺ قد قاله لشخص معين يعلم شحّ موارده وكثرة متطلباته بنظره الثاقب وفراسته الكاشفة، فهو شيخ كبير قليل الفقه في الدين وهو أعرابي من البادية بدليل عدم تعرف الصحابة ﭫ عليه والأعراب غالباً ما يشغلهم الرعي وكثرة الترحال في طلب الرزق، فلما كثرت عليه تعاليم الدين وشرائعه أراد نظاماً جزئياً خاصاً به ليناسب موارده ومتطلباته فدلَّه على الأركان الخمسة فولّى الرجل مكتفياً بذلك.

ومما يؤسَف له أن كثيراً من الناس جعل هذا الحديث ذريعة للاكتفاء بالحد الأدنى من العبادة. فكيف بمن آتاه الله من الموارد من مال وعلم ووقت وعافية ما يستطيع بها أن يسابق بالخيرات ولكنه اثَّاقَل إلى الأرض وقعد محتجاً بالحديث فيرضى بالدون ويقف على

الجروف فهل أفلح ؟ وهل هذا الحديث موجه لمثله ؟ فمثل هذا كمثل قول الرسول ﷺ : ((سبق درهم مائة ألف. قالوا يا رسول الله كيف يسبق درهم مائة ألف ؟ قال : رجل كان له درهمان فأخذ أحدَهما فتصدق به وآخر له مال كثير فأخذ من عرضها مائة ألف))(١) فهل يتساوى مَن أغناه الله بشتى الموارد وذلك الأعرابي ؟ فهذا لَعمر الله غبن وظلم للنفس وحاشا لرسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أن يرى الرجل فتياً قادراً بموارده ثم يدلُّه على الحد الأدنى في العبادة، مثله في ذلك كالمعلم الذي يرى تلميذه المُجِدَّ يسأله عن طرق التميز والتفوق فيدله على القدر الذي ينال به درجة القبول وهي الحد الأدنى للنجاح فهل هذا فلاح وهل كان المعلم أميناً في مشورته ؟ بل يكون أميناً كل الأمانة إن وجد من تلميذه قلة الحصافة والذكاء وعدم القدرة، وحاشا ثم حاشا لرسول الله ﷺ أن يدل مسابقاً على الوقوف وصاعداً على السفوح وإن كان في ذلك نوع من الفلاح ألا وهو زحزحته عن النار فالفلاح هنا فلاحان : فلاح ينجِّيه ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

(١) صحيح ابن خزيمة، ج٤، ورقمه٢٤٤٣.

[آل عمران: ١٨٥]، وفلاح يُرقِّيه[1] بدليل ﴿سابقوا﴾ و﴿سارعوا﴾.

والمسلم الحصيف مطالَب بكليهما. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. فالأعرابي محدود الموارد قسمها بقدر استطاعته بين عبادة ربه ومتطلباته فأفلح إن صدق أما الثاني فقد أغناه الله بشتى الموارد فأنفق جُلها في دنياه وشهواته ولم يبقَ إلا القليل ليحقق به ما حققه الأعرابي فلئن كان قد أفلح لزحزحته عن النار ودخوله الجنة وهو لَعمْرُ الله فلاح وأيُّ فلاح ولكنه لم يفلح في طلب السباق ولم يحقق قوله: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

_ أما العناصر المرئية فإن إيجاد العلاقة بينها وبين الإنسان يتم عن طريق المعاملات التي تنظّم علاقته بالعناصر المرئية، مثل برّ الوالدين، صلة الأرحام، وتربية الأبناء، والإحسان إلى الجار، وعلاقته

(١) قد يسأل سائل وهل دل الرسول ﷺ الأعرابي على ما ينجيه دون ما يرقّيه ؟ أقول لقد دله الرسول ﷺ على كلا الأمرين في حالته ومن في مستواه . لأن ما ينجي يستوجب الإتيان بالأركان والفروض وهو الحد الأدنى وأما ما يرقي فإنه يستوجب استثمار الموارد جميعها وهي العلم والوقت والمال والصحة) بعد أداء المتطلبات في طلب الآخرة وهذا الأعرابي محدود الموارد فيكون بذلك قد اجتهد في طاعة ربه ما استطاع وهو المطلوب في حقه ومن في حُكمه من أصحاب الموارد المحدودة.

بالصغير والكبير ، وبالحيوان والجماد، بالمؤمن والكافر..وما شابه ذلك.

– وتقوية العلاقة بين الإنسان وبين الغيب والمشاهدة يكون بتفعيل الأخلاق وتأصيلها. فالتحلي بالصبر يعين على أداء الطاعة ، وكذا يقوي علاقة الفرد بغيره فيصبر على أذاهم ويعينهم في قضاء حوائجهم .. والصدق يعين الإنسان على الإخلاص في العبادة والعمل وكذا يقوي علاقته بمن حوله وتصبح علاقة ثقة واطمئنان وهكذا.

– أما صفة العلاقة فهي تبين حقيقة الصلة والعلاقة بين الإنسان وخالقه ، وكذا بينه و بين جميع الموجودات فالعلاقة بينه وبين الله هو أنه عبدٌ مكلّفٌ مأمور وعليه السمع والطاعة، وأنه الله تعالى هو الرب المعبود وهو الآمر الناهي .

إن إيجاد الصلة بيننا وبين موجد النظام أمر ينبني عليه حياة هذا الإنسان ومآله في الدنيا والآخرة.

فموجد هذا النظام الرباني (الإنسان) هو الله سبحانه وهو من بيده مفتاح التشغيل، والصلة بين العبد وربه قائمة ما دام حافظًا لحدوده، راجعاً إليه متوكلاً عليه، إلا يفعلْ تكنْ فتنة في الأرض

وفسادٌ كبير، ولا يفلح المرء بعدها في الدنيا ولا في الآخرة، وتنشأ في طريقه العقبات والعراقيل.

إذا نظرنا إلى حياتنا نظرة شاملة، فإنها تبدو كدارة كهربائية لها مفتاح، وأيّ عطل أو خلل يحدث في هذه الدارة فإننا قبل إصلاحه يجب أن نتفقد المفتاح ومصدر الطاقة هل هو في وضع التشغيل؟

فالخالق سبحانه بيده المفتاح، والعلاقة بخالقنا هي مصدر الطاقة المحرّكة، فإن كانت تلك العلاقة كما ينبغي أن تكون، فالمفتاح إذن في وضع التشغيل فلنتفقَّد بعد ذلك تقصيرنا في النواحي الأخرى ولننظر في قراراتنا ونحاسب أنفسنا عليها.

فلنتفقَّد هذا المفتاح من حين لآخر.. هل هو في وضع التشغيل؟.. هل صلتنا بالله قوية ؟.. هل العلاقة بيننا وبينه لم تنقطع ؟.. إذن فنحن بخير لا يضرُّنا معه شرٌّ ما دامت السماوات والأرض. وأما إن كان الأمر غير ذلك فلن يجدي والله إصلاح العطب ما دام مفتاح التشغيل نفسه قد انطفأ. ومادمنا قد فقدنا الصلة بيننا وبين الخالق وذلك حينما تكون الأوامر في وادٍ، والقرارات في وادٍ آخر.

إمكانية (برمجة) الإنسان لاتخاذ القرارات الصائبة

إن هذا المخلوق العجيب (الإنسان) لهو آلة بالغة التعقيد وقد استفاد العلماء من الدراسات المعرفية التي تكشف عن تفكير الإنسان الداخلي وأحاسيسه وتصوراته التي تشكّل سلوكه الخارجي[1] وعلينا أن نعرف طرق التأثير في هذا الإنسان وهل بالإمكان برمجته لاتخاذ القرارات الصائبة؟

و هناك طرق متعددة يمكن أن تؤثر على قرارات الفرد سلباً أو إيجاباً منها :

١ ـ المعلومة :

فالعقل البشري وعاء لمختلف المعلومات التي تصبُّ فيه عَبر أقماع الإدخال من مختلف المصادر والتي تؤثر فيه سلباً أو إيجاباً بحسب جودة المعلومة أو رداءتها.

وقد امتلأت وسائل الإعلام سواء المقروءة منها أو المسموعة أو المشاهدة بالغثِّ من المعلومات والممجوج من السلوكيات والفجِّ

(١) انظر التفكر من المشاهدة إلى الشهود ص ٣٠.

من العبارات مما يؤثر تأثيرًا جوهريًا في سلوك الأفراد وقراراتهم.

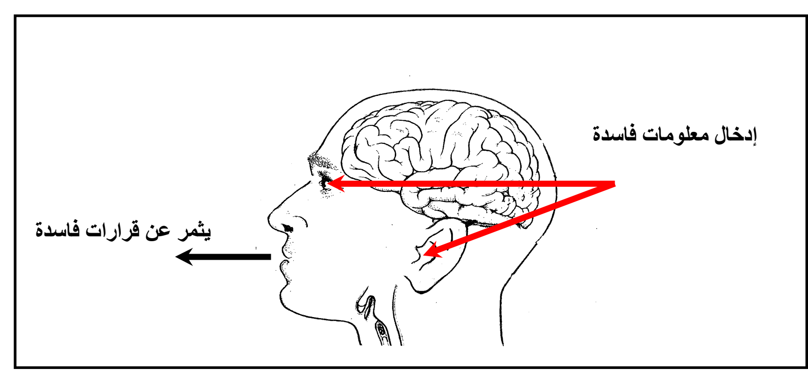
وقد صدق المثل الأمريكي القائل(Garbage in garbage out)

ومعناه: إذا كانت المُدخلات رديئة في حكم النفايات فإن المُخرجات حتمًا ستكون على شاكلتها.



(١)

أو بعبارة أخرى:



(١) جريدة الوطن السعودية، عدد غير معروف.

حيث من المحال أن تخرج المعلومة الفاسدة في صورة قرارات حكيمة أو أفعال راقية.

فالمصادر الموبوءة والمناهل الفاسدة تؤثر في سلوك الأفراد سلبًا من حيث لا يشعرون، وما أكثر النفايات السمعية والبصرية في عصرنا هذا والله المستعان.

وقال الغزالي(١) ـ رحمه الله ـ (إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح) (٢) فبحسب نوعية العلم الذي يحمله صاحبه تكون تصرفاته وسلوكه بوعي وبدون وعي.

٢ ـ النشاط الفكري :

وقد أثبت علماء النفس أن ما يفكر فيه الإنسان هو الذي يؤثر على معتقداته وسلوكه فإذا كان تفكيره في صنع الله ونعمه كان ذلك سببًا في زيادة إيمانه والارتقاء بأعماله وسلوكه. وإن كان تفكيره في

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة هـ بمدينة طوس.

(٢) إحياء علوم الدين ج٤ / ص٣٨٩.

ملاذِّه وشهواته صرفه ذلك عن دينه وانحطَّ بأخلاقه وتصرفاته، وإن كان تفكيره في مخاوفه وأحاسيسه بالإحباط والفشل والتشاؤم كان ذلك سببًا في إصابته بالاكتئاب الاستجابي والأمراض النفسية الأخرى. لذلك ركز أخصائيو علم النفس المعرفي في علاجهم على تغيير التفكير الشعوري عند الإنسان، أي ذلك النشاط الفكري الذي يسبق عادة الاستجابات الانفعالية لدى الأسوياء والمرضى. وكثيراً ما يحدث هذا النشاط الفكري المعرفي بصورة سريعة تلقائية لا يلتفت إليها الإنسان إلا إذا دقق فيها النظر وسبر أغوارها.

كما أثبت العلماء أن كل عمل اختياري يقوم به الإنسان لا يكف مطلقًا في أي لحظة من لحظات الليل أو النهار عن النشاط الفكري سواء شعر الإنسان بذلك أو لم يشعر.

إذن فالنشاط الفكري الداخلي كالخواطر والخيالات والانفعالات في الإنسان سواء شعر بها أو لم يشعر فإنها هي التي توجه سلوكه وتصرفاته الخارجية.

وهذا الاستنتاج يؤكد صدق ما قرره الإسلام من أن التفكر في

خلق الله هو الحافز لكل عمل خير. كما توصلوا إلى أن هـذا النشـاط المعرفي إذا ازدادت قوته أصبح دافعًا للسلوك (Motive)، وإذا قام به الفرد وكرره فإن الأفكار الداخليـة حينئـذ تكتسـب القـدرة عـلى الإتيان بهذه الأعمال بطريقة تلقائية حتـى تصـبح عـادة متأصـلة[١].

لذلك قـال ابـن القـيم ـ رحمـه الله ـ: (دافـع الخطـرة، فـإن لم تفعـل صارت فكرة، ودافع الفكرة فإن لم تفعـل صـارت شـهوة فحاربهـا، فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضدِّه صار عادة فيصعب عليك الانتقال عنها)[٢].

فمنشأ كل قـرار خـاطرة أو فكـرة. ومـن هنـا وجـب مراقبـة الخواطر وتغييرها قبل أن تصبح دافعاً يصعب إيقافه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (فالأفكار والخواطر التي تجـول في النفس هي بمنزلة الحَب الـذي يوضـع في الرحـى، ولا تبقـى تلـك الرحى معطلة قط، بل لابد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس مـن تطحن رحاه حَبّاً يخرج دقيقًا ينفع به نفسه وغيره، وأكثـرهم يطحـن

---

(١) المصدر السابق ص٣٢.

(٢) الفوائد، ص٣١.

رملاً وحصىً وتبنًا ونحو ذلك ! فإذا جاء وقت العجن والخبز تبيَّن له حقيقة طحينه!!) [١].

٣ـ المؤثرات الخارجية :

إن أساليب التربية الأسرية تؤثر على سلوك الفرد وقراراته منذ نعومة أظفاره وتؤثر على اتجاهه الصواب والخطأ، ونحو الخير والشر فأبواه يهودانه أو ينصرانه. كما أن للبيئة المحيطة أثرًا لا ينبغي تجاهله قال ﷺ : ((من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن...)) [٢].

كما أن للصحبة أثراً مهماً في نحت الشخصية وتشكيلها والتأثير المباشر عليها قال ﷺ : ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل)) [٣]. وقال : ((مثل الجليس الصالح و السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يُحذيَك وإما أن تبتاع منه وإما أن

---

(١) الفوائد، إبحث عنها.

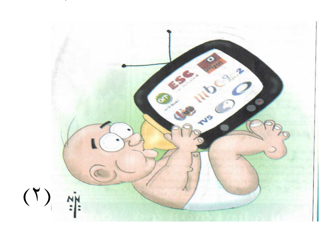
(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورقمه ٢٢٥٦ وذكره الألباني في صحيح الجامع.

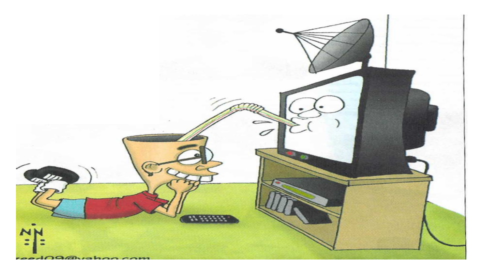
(٣) مسند الإمام أحمد، ورقمه٨٤١٧ وقال الأرناؤوط إسناده جيد.

تجد منه ريحاً طيبةً ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثةً)) [١].

ومما زاد الأمر سوءاً على سوء البث المباشر من المنابع الموبوءة وتلك الثورة المعلوماتية غير المنقحة ولا المنقاة والتي تصبُّ مباشرة في العقول الغضة الطرية فساهمت بشكل مريع في تشكيل العقل المسلم في العصر الحديث بل في تشتيته وإبعاده عن مبادئه وقيمه.

انظر الكاريكاتير:


(٢)



حينما نترك الأبناء يرضعون المبادئ والقيم من تلك الفضائيات المنحرفة فإننا بذلك نقتل فيهم الأخلاق والقيم الإسلامية النقية ونخرجهم مسخاً من البشر تابعين كالسائمة، ونحفر لهم جحر الضب بأيدينا

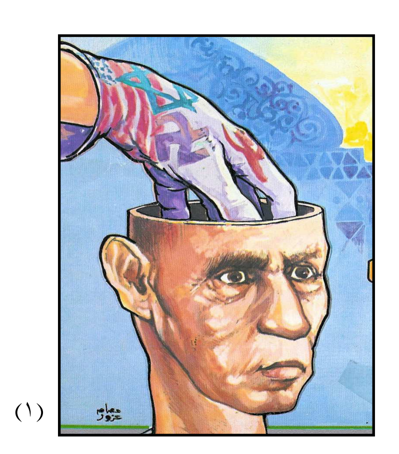
وما يفعله أعداء الأمة بالمسلمين اليوم هو محاولة لتزيين السيئة وإغرائهم بها وما نشاهده اليوم من تغريب للعقل المسلم وتبديل

---

(١) صحيح البخاري، باب المسك، ج٥/ ص ٢١٠٤ .

(٢) الصورتان كاريكاتير من جريدة الوطن السعودية عدد غير معروف.

للعادات والتقاليد التي نشئوا عليها بعاداتهم المخلة وتقاليدهم المنحرفة.


(١)

وما نريده في هذا البحث هو تكييف العقول مع تعاليم الإسلام السمحة وإعادة تقسيمها وتنظيمها (فرمتتها) (formatting) ثم (برمجتها) على أوامر الله ونواهيه.

ولو نظرنا إلى ما بعد مجتمع صحابة رسول الله ﷺ ومن يلونهم ثم من يلونهم حتى نصل إلى عصرنا الحالي نجد تحولاً تدريجيًا وانحرافًا يبتعد ببطء عن الطريق المستقيم في كثير من الأخلاقيات والمثل وذلك لوجود مصادر دخيلة على الكتاب والسنة تبناها

(١) الصورة غلاف لمجلة الأمة القطرية عدد ٥٨ سنة ١٤٠٥هـ.

المجتمع حتى أصبحت بعد ذلك جزءاً لا يتجزأ من عاداته وتقاليده، خذ على سبيل المثال لباس الرجل والمرأة في مجتمعنا المسلم والذي كان مبنيًا على الاحتشام والستر، حتى دخلت تلك الأزياء المخلَّة بعفَّة المرأة وبكرامة الرجل ومروءته فأفسدت الأذواق وأضحى لابسها لا يرى بأسًا ولا ينكَر عليه. وانظر إلى حلق الرؤوس والمثلة باللحى على هيئات غريبة كالقزع المنهي عنه وهم يرونه ذوقاً رفيعاً وتحضُّراً. وانظر إلى التعاملات المالية وما أصابها من دخن اليهود والنصارى من رِباً وظلم ونجش.

ولو تقصَّينا أسباب الانحراف عن الرعيل الأول وكيف بدأ الناس قرناً بعد قرن في الانحراف تدريجياً بطريقة غير ملحوظة حتى وصل الانحراف عنه بزاوية حادة. ومع بعد العهد وطول الشُّقة لم يعد الناس قادرين على تتبُّع الطريق المستقيم من بدايته فأضحى كل جيل ينظر إلى السبل حوله فيرى أنه على التوسط والاعتدال وينظر خلفه مباشرة ليرى ويتأكد له أنه ما زال على الطريق، والحقيقة أنه ينظر إلى الزاوية التي انفرجت عن الطريق فيحسب أنها الطريق بعينه.

يجدر بالإنسان المسلم أن تكون معه (بوصلة) لتحديد اتجاهه

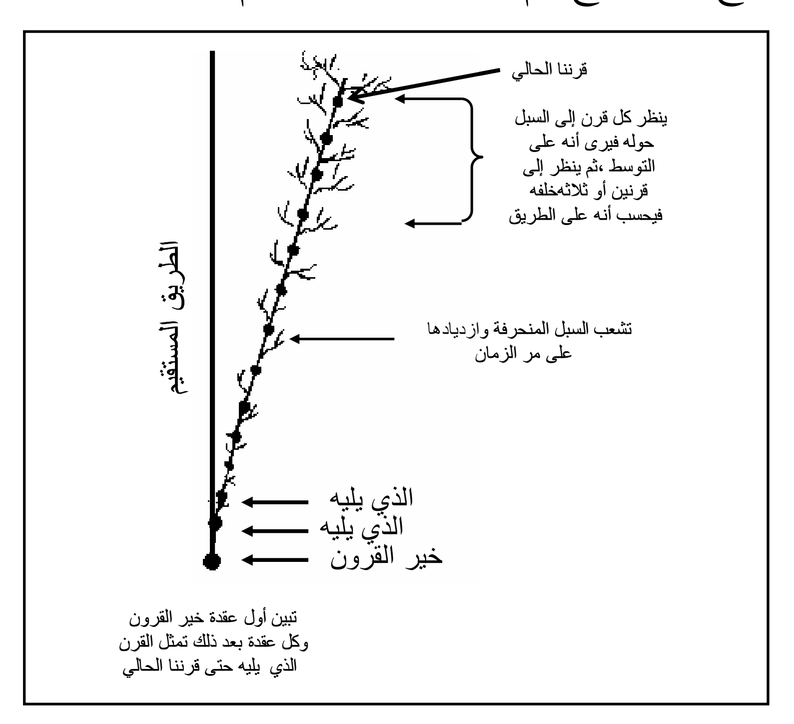
وتفقُّد مدى انحرافه عن الصراط وإلا ضلَّ وحاد عن الطريق، واتبع السبل فذهبت به كل مذهب، كمثل الربان الذي يقود السفينة إن أزمع أن يقودها من اليمن إلى الهند بغير بوصلة وجد نفسه في الصين من حيث لا يدري. فبوصلة المسلم هي مجموعة الأوامر والنواهي التي اشتمل عليها هذا الدين القويم، فلابد أن يعرض نفسه عليها كلما عنّ له أمر، أو جدّ له جديد، ولا ينظرنَّ إلى فلان وفلان من أهل عصره بل ينظر إلى خير القرون حتى لا يحيد عنهم. قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: لا تقل قال فلان وقال فلان ولكن خذوا من حيث أخذوا. قال ﷺ: ((لتُنقَضَنَّ عُرَى الإسلام عروةً عروةً فكلما انتقضت عروة تشبَّث الناس بالتي تليها، فأوَّلُهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة)) (١).

فقوله (عروة عروة) تبين البطء والتدرج في الابتعاد شيئاً فشيئاً. انظر إلى الحكم بما أنزل الله كيف كان وإلى أين انتهى، لقد انتهى إلى تعطيل الحدود وانتشار الظلم والجور وتحليل ما حرم الله.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، وقال الأرناؤوط إسناده قوي ورقمه ٦٧١٥.

وانظر إلى الصلاة كيف حرص صحابة رسول الله على إدراك تكبـيرة الإحرام وعلى أدائها في جماعـة وكيـف حرصـوا عـلى الخشـوع فيهـا وإقامة حدودها ومواقيتها، ثم انظر بعد تباعد العهد وتطاول العمـر كيف فرَّط الناس في إدراك تكبيرة الإحـرام ثـم تسـاهلهم في أدائهـا جماعة وكيف أصبحوا ينقرونها نقرًا بغير خشوع، ولعل هـذا الرسـم يوضح كيف تدرج بهم الانحراف إلا من رحم الله :



ومن هنا كان لزامًـا عـلى المسـلمين إيجـاد طريقـة مناسـبة للعـودة

بأنفسهم إلى الجادة وتثبيت أقدامهم على الطريق. وهذا ما نعنيه بالبرمجة.

فالبرمجة[(١)] كما يعرِّفها المهندسون هي : مجموعة من الخطوات التي تحقق مهمة معينة.

وهي مجموعة من الأوامر والأحكام توضع بصيغة معينة لتحقق هدفاً معيناً.

أساسيات برمجة العقل البشري:

هناك أساسيات يجب النظر إليها عند برمجة العقول البشرية نوجزها في التالي :

١ـ تنظيم مكتبة العقل :

من أهم الأمور في برمجة الإنسان على برنامج معين وتفعيل معلومات معينة وتطبيقها عملياً هو إعادة ترتيبها وتصنيفها وفهرستها في مكتبة العقل، نجد كثيراً من الناس لديهم من المعلومات كمٌّ هائلٌ ولكنها مبعثرة في مكتبته العقلية فهو لا يكاد يستفيد منها ولا يحسن استرجاعها واستخدامها في اتخاذ القرارالمناسب. فمن المهم إذن إدخال المعلومة المراد

(١) هذه البرمجة بعيدة كل البعد عن ما يسمّى بالبرمجة اللغوية العصبية.

الاستفادة منها بطريقة منهجية ومدروسة على أنها سلسلة متعلقة بعضها ببعض مع ما سبقها من معلومات حتى تؤثر في قرارات الفرد وآرائه.

(فكثير من المسلمين وحتى بعض العاملين للإسلام نراه يقدم بعض الجزئيات والفروع وبعض التكاليف الشرعية التي تكون في مرتبة السنن والنوافل أو المستحبات، ويقاتل في سبيلها وقد يقع في الحرام في سبيل الإصرار على تحصيلها، كما أنه قد يفوِّت فرضًا أو حقاً لمسلم في سبيل الانتصار لمندوب) [١].

وهناك ثلاثة عناصر مهمة يجب أن تصاحب دخول المعلومة وهي عناصر متداخلة ومشتبكة مع بعضها البعض كالجزيء الكيميائي وقد سبق ذكرها في كيفية تشغيل النظام وهي:

أ ـ عناصر أو جزئيات (component).

ب ـ العلاقة (link) وهي تبين ارتباط المعلومة بالنظام.

ج ـ صفة العلاقة أو نوعها (attribute).

تدخل المعلومة إلى عقل الإنسان مارّةً بهذه الأسس الثلاثة

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ص٢٤ بتصرف.

بشعور أو بغير شعور أحيانًا كالأمور البدهية كأن تدخل معلومة عن الله سبحانه وتعالى فيقوم الدماغ بجدولتها وتصنيفها على أن هذا الاسم له علاقة تبين ارتباطها بوجود الإنسان فهو الإله المعبود ونوع العلاقة هي العبودية.

شخص يسمى أحمد هذا الشخص علاقته أنه أخ لي مثلاً فنوع العلاقة هي علاقة الأخوة.

الإسلام مثلاً هو ديني ويحدد مصيري ومآلي باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

ومما يؤسف له أن نرى كثيراً من المسلمين لا تكاد تلحظ أثراً لتصنيف المعلومة في عقولهم فهو مسلم هكذا لأنه ولد في بيئة مسلمة وهذه مسلمة سئلت عن سبب ارتدائها للحجاب فأجابت بأنه عادات وتقاليد نساء بلدها. فكم من مسلم تجده يصلي ويصوم ويحج ثم تجده يرتكب الكبائر من زنا وربا وشرب الخمر مما يدل على وجود فجوة كبيرة بين معلومات الفرد وقراراته. أو تجده شخصاً نظيفاً ومرتباً في منزله ثم تجده من أقذر الناس وأقلهم حرصًا على

الممتلكات العامة، إذا اكتال لنفسه أو ابتاع استوفى وإذا كال لغيره بخسهم. وهذه إحدى الشركات المسلمة تتأهب لنصرة النبي ﷺ وتنفق على ذلك بسخاء من جهة، ثم هي هي تنفق على برامج هدامة ومنحلة من جهة أخرى! هذا التناقض والتضارب في الموازين سببه عدم تبني الإسلام كنظام متكامل واتخاذه مرجعاً في جميع القرارات أي أن العلاقة والصلة بين المعلومة والتطبيق عمليًا تكاد تكون مفقودة إما لعدم أخذ أوامره ونواهيه بقوة وعلى محمل الجد أو للجهل بها أو لإدخالها إلى العقل بطريقة خاطئة كمعلومة مستقلة لا علاقة لها بغيرها.

وقد ذمَّ الله اليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يطبقوا ما جاء فيها :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة: ٥].

وأمرهم أن يطبقوا ما فيها من تعاليم وأوامر بقوة فقال سبحانه :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ

ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة : ٦٣].

والقوة هي الجديّة في العمل والعزم على التطبيق.

والإسلام ينظم الذاكرة ويحرص على تنظيم إدخال المعلومة وإخراجها :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق :١٨].

إنه يعلّم الحرص على الوعي بالمخرجات والانتباه لكل كلمة يقولها الإنسان. (إن مواقيت الصلاة ومقادير الزكاة، وحساب الأهلة، وأحكام الأداء والقضاء، والحول والفوات وكل الضوابط دليل على تنظيم الشخصية ... هذه الشخصية التي كانت قبل الإسلام سائبة بلا قيود ولا حدود ولا ضوابط) [(١)].

والجانب التطبيقي للمعلومة يجعل بالإمكان استرجاعها بسهولة عند تحليل البدائل واتخاذ القرار.

بل يجعل بالإمكان استرجاعها مع كل متعلقاتها وروابطها لا تتخلف عنها لأن لذلك أعظم الأثر في اتخاذ القرار الأمثل، خذ مثالاً على ذلك مشكلة المغالاة في إقامة الأعراس والولائم فعند تقييم

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ص٢٥.

مساوئها في الغالب يُنظَر إلى أنها مكلفة للشخص الداعي ومتعبة للمدعوين من حيث التأخير إلى منتصف الليل لا أكثر بينما لو نظرنا نظرة فاحصة لكل متعلقات المشكلة سنجد أنها عظيمة الضرر مادياً على المضيف والضيف معاً الذي سيتكلف الحضور وربما السفر من أجل ليلة، هذا فضلاً عن مجاراة النساء في المغالاة في ملابس الأفراح وعلى الدولة التي ستخسر الأموال الطائلة المهدرة في أبواب لا تدرُّ على الدولة دخلاً ولا نفعاً اقتصادياً. إضافة إلى هدر الموارد من ضياع أفضل أوقات العبادة في الرقص والغناء الذي كان من الممكن تقديم وقته، وإتلاف كميات هائلة من الأطعمة التي تذهب في الغالب إلى سلة المهملات.

وهناك دراسة قام بها فريق من جامعة القصيم بيَّنت أن موظفي الدولة يهدرون أكثر من ٨٤٤ ألف ساعة يومياً لمتابعة سوق الأسهم حيث إنَّهم يتركون أعمالهم ويتابعون حركة الأسهم الصاعدة والنازلة مما يجعلهم يقتطعون من أوقات العمل ويرفع من توتر أعصابهم وانشغالهم فكرياً فينعكس ذلك سلباً على أدائهم، ولو نظرنا إلى العمل بحد ذاته وبدون متعلقاته لقلنا إن هذا شأن خاص بكل موظف ولا دخل لأحد به.

ومثل ذلك الإسراف في استهلاك المياه وهدرها بلا حساب في الاستحمام والغسيل، ولو نظر ربُّ كل أسرة إلى بيته بمعزل عن البيوت فلربما احتقر كمية المياه المستهلكة من قِبل أسرته بينما لو اتسعت دائرة رؤيته فرأى أن كل بيت من بيوت الدولة سيفعل مثله لتبين له الآلاف بل الملايين من الأموال التي تخسرها الدولة يومياً بسبب ذلك. بل لو بلغ الشعب من الوعي بحيث يتعاون مع الدولة في الإبلاغ عن التسرب الذي تعاني منه شبكات المياه ربما لطول الإهمال وسوء الصيانة لوفروا على الدولة الكثير. وهذه رؤية من لا ينطق عن الهوى من قبل ومن بعد فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ((ما هذا السرف يا سعد قال أفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهرٍ جارٍ)) [1].

إذن عند تقييم المشكلة لابد من النظر إليها كجزء من عدة أجزاء، وحبة في عقد حتى تكون في منظومة متكاملة، فلو جاء كل متنزه على البحر فألقى مخلفاته فيه لاجتمع في البحر كم هائل من الملوثات.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، ورقمه ٧٠٦٥ وقال الأرناؤوط إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة وباقي رجاله ثقات.

وقد أشار الرسول ﷺ على هذا النوع من التفكير المنظم (systematic thinking) في حل المشكلة في حديثه حيث قال : ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقَوا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَن فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوْا ونجوْا جميعاً)) [١].

كما أن الإسلام يحرص على ربط المعلومة بنظام التشغيل وتصنيفها في مكتبة العقل وذلك من خلال النية ودعوته إلى تجديدها قبل كل قرار قال ﷺ : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) [٢] وقال ((لا أجر لمن لا حسبة له)) [٣].

(١) صحيح البخاري، باب تقويم الأشياء بين الشركاء، ج٢/ ص٨٨٢.

(٢) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، ج١/ ص٣.

(٣) سنن البيهقي، باب النية في الطهارة الحكمية، ج١ / ١٧٩، وصححه الألباني في الصحيحة ج٥ ورقمه٥٨٣.

وعن عمر ﷺ قال : لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له يعني لا أجر لمن لم يحتسب ثواب عمله عند الله عز وجل وعن ابن مسعود[١] قال لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنية ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة[٢].

وخلاصة القول أنَّ تنظيم مكتبة العقل يعطي الفرد القدرة على استرجاع المعلومة في أقصر وقت. كما أنه يعطي كفاءة عالية في تشغيل جهاز اتخاذ القرار المساعد وبالتالي الحصول على القرار السليم والأقرب للمثالية في الغالب.

٢ ـ رد المعلومة الفاسدة ما أمكن وتصنيفها في حالة دخولها :

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ما يحل لي مما يحرم علي فسكت رسول الله ﷺ فردد عليه ثلاث مرات كل ذلك يسكت رسول الله فقال من السائل ؟ فقال الرجل أنا ذا يا رسول الله فقال

---

(١) عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة كنيته أبو عبد الرحمن سكن الكوفة ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وأوصى أن يدفن بجنب قبر عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع وكان له يوم مات نيف وستون سنة.

(٢) جامع العلوم والحكم ج١/ ص١٣ بإسناد ضعيف.

ونقر بإصبعيه : ((ما أنكر قلبك فدعه))[١].

وفي ذلك حث على رفض المعلومة الفاسدة وعدم استخدامها في اتخاذ القرار.

وعن أبي ذر ﷺ[٢] قال : قال رسول الله ﷺ :

((اتق الله حيثما كنت وأتْبع السيئة الحسنة تَمحُها وخالق الناس بخلق حسن)) [٣].

كم في هذا الحديث من أساليب راقية في ترشيد القرار وترشيح المعلومة قبل إدخالها فقوله : وأتبع السيئة الحسنة تمحها لا يدل على إتباع العمل السيئ بآخر صالح فحسب، بل يتعدى ذلك إلى القول والنية والمعلومة فيحسن بالمسلم إذا دخلت إلى ذاكرته صورة محرمة

(١) كتاب الزهد لابن المبارك، باب ما جاء في قبض العلم، ج١ ص٢٨٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ورقمه ٥٥٦٤.

(٢) أبو ذر هو جندب بن جنادة ويقال جندب بن السكن ويقال بريد بن جنادة أبو ذر الغفاري المدني سكن الربذة سمع النبي ﷺ وروى عنه، مات في خلافة عثمان بالزبذة قاله البخاري وقال الذهلي قال يحيى مات أبو ذر بالربذة سنة ٣٢ وقال خليفة مات قبل عبد الله بن مسعود وصلى عليه ابن مسعود وماتا جميعاً سنة ٣٢.

(٣) سنن الترمذي، ورقمه ١٩٨٧ وقال حديث حسن صحيح. وقال الألباني حديث حسن.

فليتبعها بصورة حسنة فذلك أدعى أن ينساها ولا يشغل فكره بها. وإذا نوى نية سيئة أن يمحوها بنية طيبة.

و من أدب الإسلام عند ورود المعلومة الفاسدة على القلب أن ينكرها.

قال ﷺ: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[1].

وإنكارها بالقلب يتطلب من المؤمن أن يحدث نفسه قائلاً: (اللهم هذا منكر لا أرضاه) حتى لا يتشرَّبَها القلب فتنكت فيه نكتة سوداء. وأن يُردفها مباشرة بما يمحوها من الحسنات المناسبة. فيطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها، فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤].

مثال ما ذكرنا: أن يُكفّر سماعَ الملاهي بسماع القرآن ومجالس الذكر، ويُكَفِّر مس المصحف بغير طهارة بإكرامه وكثرة القراءة فيه،

---

(١) صحيح مسلم، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج١ ص٦٩.

ويُكَفِّر شرب الخمر بالتصدق بالشراب الحلال. وعلى هـذا فاسـلك سبيل المضادة فإن الأمراض تعالج بضدها)[(١)].

إن ربط جميع عناصر الدين في الذاكرة بعضها ببعض في بوتقـة واحدة ينمي لدى الفرد مَلكة نستطيع أن نطلق عليها مَلكـة (الحـسِّ الديني) ولعله عندئذ يدخل فيمن عناهم سيد الـبشر عليـه الصـلاة والسلام بقوله: (استفت قلبك) فما كل مسلم قادر على استفتاء قلبـه فمن عَمر قلبه حب الدنيا واتباع الهوى أنَّى لقلبه تلك النزاهـة التـي يستطيع معها أن يستفتيه، إنما يستفتي قلبه من اتبع أوامر الله ونواهيه وكان قلبه عامراً بخشيته، فارغًا من حب الدنيا وسيطرة الهـوى قـال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

أي ادخلـوا في الإسلام جميعه بكافــة أوامـره ونواهيـه قــدر

---

(١) انظر منهاج القاصدين، ص٢٨٦.

المستطاع وحينئذ يتكوَّن لدى الإنسان تلك الملَكة التي يستطيع معها أن يفرِّق بين الحق والباطل ويستفتي قلبه وإن أفتاه الناس وأفتوْه.

فعن وابصة بن معبد[1] الأسدي قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدَع شيئاً من البرِّ والإثم إلا سألتُه عنه وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه فجعلتُ أتخطَّاهم فقالوا إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ فقلت دعوني فأدنو منه فإنه أحبُّ الناس إليَّ أن أدنو منه قال: ((دَعوا وابصة ادْنُ يا وابصة مرتين أو ثلاثاً. قال: فدنوت منه حتى قعدتُ بين يديه فقال: يا وابصة أخبرك أو تسألني. قلت: لا بل أخبرني. فقال: جئتَ تسألني عن البر والإثم؟ فقال: نعم. فجمع أنامله فجعل ينكت بهنَّ في صدري ويقول: يا وابصة استفتِ قلبَك واستفتِ نفسَك ثلاث مرات، البرُّ ما اطمأنَّتْ إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردَّد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوْك))[2].

---

(١) وابصة بن معبد بن الحارث بن مالك بن الحارث بن قيس بن كعب بن سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة وأمه من ولد كعب بن سعد بن الحارث.

(٢) المنذري في الترغيب والترهيب بإسناد حسن ورقمه ٢٦٨٣ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

نجد بعض العلماء يصدر بعض الفتاوى التي تبدو شاذة يرفضها القلب ذو الحسِّ الديني وما خرجت من ذلك العالم أو طالب العلم إلا لبعثرة علوم الدين في ذاكرته، لم يلملم شتاتها وينظمها في عقد واحد. من هذه الفتاوى من أفتى باستحلال الفوائد البنكية وأنها ليست من الربا، ومن أفتى باستحلال آلة الأورج وأنها ليست من المعازف، ومن أفتى بجواز قصر الصلاة للمبتعَثين بالخارج طوال سنيّ إقامتهم، ومن أفتى للمرأة بجواز تلاوة القرآن بالترتيل والتجويد والتغني بصوتها الناعم أمام الرجل حتى يجيز قراءتها. كل هذه الفتاوى وغيرها إنما خرجت من عقول ذات مكتبات علمية قيّمة ولكنها مبعثرة. والمكتبة المبعثرة مهما كبرتْ واحتوتْ شتى المعارف والعلوم فإنها إن لم تكن منظمة ومصنفة فإن صاحبها قد يعجز عن إيجاد جميع المعلومات المتعلقة بالموضوع أو استدعاء المعلومة في وقتها. ها هم بنو إسرائيل شهد الله لهم بالعلم ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

إلا أنها معلومات لم تكن معدَّة للعمل والاستخدام ولم تكن منظمة ومصنفة لكي تتداعى إلى الذاكرة وقت الحاجة.

٣ـ العودة إلى الاستقاء من النبع الصافي قدر المستطاع :

لقد مرَّتْ بالعقل المسلم أزمات متتالية في العصور الأخيرة في ظل التحديات الكثيرة التي تتمثل في موجات التغريب والغزو الفكري والعلوم الدخيلة الملفّعة بالغايات في حين ابتعاده عن نبع الهدى الصافي واستقائه من هنا وهناك حتى شابتْه الشوائب. كما أسهم الجهل بالدين في اتساع الرقعة وبعد الهوة، هذا بالإضافة إلى جمود بعض العلماء وتقليدهم لمن سبقهم في أمور ينبغي إعادة النظر فيها والاجتهاد. وقد استشار الخليفة هارون الرشيد الإمام مالك أن يحمل الناس على ما في (الموطأ) فمنعه مالك وقال : قد تفرَّق أصحاب رسول الله في البلاد وصار عند كل قوم علم غير ما عند الآخرين. وهكذا الشافعي ينهى أصحابه عن تقليده بترك قوله إذا جاء الحديث بخلافه، وهذا الإمام أحمد يُنكر على من كتب فتاويه ودوَّنَها ويقول لا تقلدوني ولا تقلد فلانًا ولا فلانًا وخذ من حيث

أخذوا[١]. بالإضافة إلى أن كثرة الأخذ من فلان وفلان من الناس، وهذا يخطئ وهذا يصيب، يبتعد بنا عن النبع الأساس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (إن أصفى شيء من النهر ما أُخذ عند مصبه مباشرة) وكذلك النص أنفع شيء فيه قراءته هو قرآناً وسنة مباشرة، والمران على تفهمه وتدبره ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وإن أعذب شيء من الغيْث ما كان منه قبل وصوله الأرض، واختلاطه بالتراب، وكذلك النص الشرعي آية وحديثاً أعذب شيء منه ما أخذت البصيرة منه بلا واسطة من شارح ومعلق ومذيِّل، وإن ما تراه من أكوام هائلة من الشروح إنما طرأت في عصور الوهن، وشحوب القرائح، وجمود الأذهان، وركود الخواطر، وفتور الهمم، وسقوط العزائم، وإلا فإن عصر الصحابة لم يكن إلا عصر نص يُفهم على سياق اللغة، ويؤخذ على ظاهر الخطاب... وغالب النصوص الشرعية تقدم نفسها للناس في يسر وسهولة وإشراق،

---

(١) قواعد التحديث ص٢٩٣.

وإنَّ جُلَّ الكتاب والسنة مبيَّن لا يحتاج إلى شرح ...) [(١)].

٤ـ إعادة صياغة العلم. و إيجاد آلية لإيصاله إلى الأفهام بلغة تتناسب مع مفاهيم العصر ومفرداته وحبذا لو كانت مصحوبة بتقنية ما يسمى بالوسائط المتعددة (multimedia) مدعومة بالتدريب ثم التطبيق والممارسة؛ فبالرغم من تدريس مناهج الدين في المدارس بحيث لا يتم تخرج الطالب منها إلا وقد ألمّ بجميع ما فرض عليه من أركان وواجبات إلا أننا لا نلمس لهذه العلوم أثراً واضحاً ولا نكاد نجد لها تأثيراً على سلوك الأفراد وقراراتهم وكأنها دخلت إلى العقول بطريقة التكديس والحشو ولم تتغير مع تغيُّر لغة العصر بل ولم تنافس الزخم الهائل من المعلومات المنمقة والمزخرفة التي تعارضها. فإذا وصلت المعلومة الرديئة إلى العقل بأسلوب منمق والجيدة بأسلوب رديء أو غير فعّال، طغت المعلومة الرديئة على الجيدة أو على الأقل أبطلت مفعولها فلم يَعُدْ لها ذلك الأثر

---

(١) حدائق ذات بهجة، د/ عايض القرني ص ٥٥ـ ٥٦.

الواضح في قرارات الأفراد. وما جعل بعضَ المسلمين يتهافتون على العلوم الشرقية والغربية الحديثة في الإبداع وتنمية الذات والبرمجة اللغوية العصبية إلا افتقارهم إلى تلك الآلية التي وجدوها عند الغرب فتبنَّوْها بما فيها من غير تمحيص ولا تدقيق لما تحتويه من أمور منافية للدين.

٥- التفكير المنظم (systematic thinking) في اتخاذ القرارات وحل المشكلات بناءً على تعاليم الدين الحنيف لا على التقليد والمحاكاة:

إن إعمال العقل وحثَّه على العمل والتفكير المتسلسل والتبصر في الأمور وعواقبها على المدى البعيد من شأنه تحسين أداء الفرد وترشيد قراراته، ومن المؤسف أن نجد الغالبية العظمى من أفراد المجتمع تميل إلى المحاكاة والتقليد والقرارات الارتجالية التي لا تستند على أسس ولا تقوم على دليل، بل هي قوالب غربية بحتة للجنسين رجالاً ونساءً. ولا بأس هنا من أن نسوق بعض مقاطع من مقالات طائفة من أصحاب الرأي في صحفنا اليومية لأنهم إنما يحكون عن واقع المجتمع ومشكلات الأمة:

فهذه الدكتورة نجاح الظهار تقـول : (خرجـت إلى السـوق في أحد المراكز التجارية ففوجئت بالمناظر الغربية التي رأيتها واعتقـدت أنني في غير بلدي، والنـاس مـن حـولي غربـاء كـأنهم قـادمون مـن كوكب آخر أو أن ما أراه هو صفحات من مجلات الموضـة المجنونـة فقصَّات الشعر الغريبة بل والمقزرة فذاك لم يأخذ من الأسد شجاعته بل قصة شعره، والثاني استعار من الديك عرفـه والثالـث أخـذ مـن الفأر ذيله. أما قصات شعر الوجه فكانـت أكثـر عجبـاً فمـنهم مـن حلق شاربه ورسم حـول وجهـه خطـاً رفيعـاً والآخـر حلـق لحيتـه ورسم حول فمه هالة رفيعة تدلَّى من آخرها خصلات الشـعر.. وإذا ما رأيت لباس هـؤلاء علمـت أن منشـأه انعـدام الحيـاء والرجولـة ففتحة الصدر مشقوقة حتى الوسط وتتدلَّى من رقبته سلسلة ذهبيـة، واللافت في الأمر أن بعضهم قد زج حواجبه أو وضع بعض المساحيق على وجهه.. أما الفتيات فقد رأيتهن يلبسن عباءات في غاية الإغـراء

تفصِّل حجم الجسد وتشف عما تحتها...) [(١)].

ويقول الدكتور طارق الجهني : كثير منا لا يفكر فيما يعمل. . إنما يعمل مثلما يعمل الآخرون. . . أحدهم يفتتح صيدلية تجد الشارع كله صيدليات، آخر يستثمر في محطة بنزين تجد أكثر من محطة في شارع واحد، حتى الاستثمار الديني تجده يسير في الغالب على نسق واحد الكل يريد الحصول على الأجر من طريق واحد وهو بناء المساجد حتى أصبحنا نرى في الحي الواحد العديد من المساجد لدرجة أن المصلين في المسجد الواحد قد لا يتجاوزون صفاً واحداً في معظم الفروض. . بينما للأجر والثواب طرق عديدة كبناء دور للأيتام وأربطة العجزة وأوقاف يستثمر ريعها لإعالة المعدَمين، كما يمكن كسب الأجر من خلال التبرع بالأجهزة الكهربائية المختلفة للأفراد والجهات المحتاجة وتوفير فرص عمل للعاطلين ... [(٢)].

وقد ابتُلِيَتْ الأمة بهذه المحاكاة إلى حد بعيد فهذه البرامج

---

(١) دكتورة نجاح بنت أحمد الظهّار، جريدة عكاظ ١٤٢٥هـ.

(٢) الدكتور ناصر محمد الجهني، جريدة المدينة، الاثنين ربيع الأول ١٤٢٦هـ، عدد ١٥٣٣٥ بتصرف.

والقنوات الغثة التي تحاكي القنوات الغربية حتى تكاد تكون نسخة طبق الأصل منها فطريقة تقديم الأخبار واشتراك الرجل والمرأة في عرضها وأغاني الفيديو كليب وبرامج ستار أكاديمي الفرنسي الأصل وسوبر ستار. ولننظر إلى الآباء الذين ما إن ظهرت الهواتف الخلوية المسماة بالمحمولة حتى أصبحت متداولة في أيدي الجميع حتى أطفال المرحلة الابتدائية والمتوسطة دونما دراسة لمخاطرها الصحية والأخلاقية الفادحة على النشء من جرّاء تداول الصور والرسائل المنحلة في غفلة من الأهل. لقد وصلت بنا المحاكاة إلى أبعد من ذلك بكثير فقد تخلَّى البعض عن أهدافهم ونواياهم ليستبدلوا بها النوايا الغربية البحتة القائمة على المادة فتجد كثيراً من أصحاب القنوات الفضائية العربية يصرّحون بأن فرز وانتقاء البرامج يقوم على أساس الربح وأيها يحقق المشاهدة الأكثر والدخل الأوفر لا غير. ونجد أصحاب الفنادق والشقق المفروشة يُدخلون هذه القنوات على أساس رغبة العميل ولتحقيق المكسب المادي الذي زرعه الفكر الغربي المادي في قلوب المحاكين من أبناء أمتنا الإسلامية.

يقول الدكتور سامي حبيب :(في الوقت الذي يتابع فيه ملايين المسلمين بقلوب وجلة بالونات الاختبار الإسرائيلية تمهيداً لتنفيذ المخططات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى وتهويد مدينة القدس بالكامل، وفي وقتٍ الأمة أحوج ما تكون فيه للتعبئة النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية للوقوف صفاً واحدًا كالبنيان المرصوص في وجه الهجمة الاستعمارية الجديدة الشرسة لتغيير معالم المنطقة العربية الإسلامية ومسخ هويتها التاريخية، تصرّ بعض الفضائيات العربية على الولوغ بشباب الأمة في مستنقعات الانحلال الأخلاقي والانحدار بهم إلى دركات الهامشية الحضارية والسفه المالي من خلال برامج ما يسمى بتلفزيون الواقع الذي يمثل قفزة في الإفساد ليخرج به عن طور الإفساد عن طريق الأفلام والتعري إلى إفساد أذهان الناشئة ويربي جيلاً مائعًا من المسلمين بعيداً كل البعد عن قيم الحياة الإسلامية وكفى ببرامج التلفزيون جرماً أن يشهد لها الأعداء، صرح (دور قولد) نائب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي فيما نقلته عنه جريدة (الواشنطن بوست)

الأمريكية (لقد أثبت برنامج سوبر ستار العرب أشياء كثيرة وأهمها أن عدونا ليس المسلمين لكن عدونا الإسلام وتعاليمه ...) [١].

وهذا الدكتور محمد شاووش يقول منتقدًا أصحاب القنوات الفضائية العربية وأساليب عرضهم وانتقائهم للبرامج فيقول إنهم (إما مقلدون للغرب أو مجتهدون بطريقة تعتبر غير علمية وغير منهجية في الوصول إلى بيت القصيد وعين الحقيقة. فعندما تقضي أمام بعض هذه البرامج ساعات تستمع إلى بعض الفنانين والفنانات الذين أصبحوا يطلُّون علينا صباح مساء ليتحفونا بأفكارهم الضحلة وطريقتهم المبتذلة ليقرروا للمشاهدين والمستمعين ما يجب وما لا يجب وما هو صحيح وما هو خطأ ...) [٢].

هذه المحاكاة لا تخلق إنساناً مسئولا، وعقلاً مفكرًا، بل تخلق مسخاً مقلداً، إمّعة في آرائه، تبعيًا في أفعاله لأبعد الحدود فاقداً للشخصية التي هي من مقومات الإنسان الراشد صانع القرار. وكما

---

(١) الدكتور سامي سعيد حبيب، جريدة المدينة، ١٤ ربيع الأول، ١٤٢٦هـ، العدد ١٥٣٤٠.

(٢) الدكتور محمد الشاووش، جريدة المدينة، ملحق أحوال الناس.

أوردنا آراء أصحاب الرأي والمشورة نورد بعضاً من أمثلة المحاكين الذين لا تستند قراراتهم على أساس الكتاب والسنة، فيقول هذا الدكتور المتفلسف مدافعًا عن برامج تلفزيون الواقع بأنه أسلوب يعتمد على الدراسات الإنسانية المتعلقة بالسلوك الإنساني وتحليل المعاني والحركات التي يقوم بها الأفراد وهي منهجية متبعة في مجال البحث العلمي، ويستشهد بقول (ادوارد هول) ويصفه بأنه الأب الروحي للاتصال غير الكلامي ويعتبره مرجعًا مهمًا يعتدّ به. فهذا الأخير معظم دراساته تتم عن طريق المراقبة. مراقبة الأشخاص في الأماكن العامة والمغلقة. ثم يدعي بأن هذه البرامج لها تأثير إيجابي على سلوك المشاهد لأنه يتعلم مفردات سلوكية جديدة عن طريق النقد أو الاتباع وفي رأيه الذي لا يستند إلى عقل فضلاً عن دين أن المشاهد يجب أن يقلد ويتعلم من الأفراد الذين يحصدون أغلب الأصوات المؤيدة لسلوكياتهم. وآخر يبارك كثرة الغانيات على الساحة العربية ويصفهنَّ بأنهنَّ رسل السلام بين المسلمين والغرب ليعلموا أن الإسلام لا يقوم على السيف والدم بل على الحب

والسلام على حد زعمه. والخلاصة أننا بعد دخولنا عصر العولمة أو الأمركة بمفهومها الصحيح تحول كثير من أبناء الأمة متبعين ولاهثين وراء تفاهات الغرب فانزلقوا مزالقهم إلا من رحم الله وهذا مصداق قوله ﷺ : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا : يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن))[1].

ـ **النمذجة** (modeling) : هي عملية تمثيل لنموذج ما أو نظام معين لفهمه وتطويره ومن ثم تطبيقه على الواقع. أو تحليل نموذج موجود لتسهيل عملية التعامل معه وتطبيقه.

ـ **هدف النمذجة** :

في هذا البحث نهدف من خلال النمذجة إلى فهم الإنسان والتعرف على مكوناته وتحليلها للارتقاء بأدائه وبرمجته على أنموذج السلف الصالح وذلك عن طريق إيجاد نظام تشغيلي فعّال للعقل البشري يعمل على غرار عمل الويندوز الحديث وهو نظام (النوافذ)

---

(١) صحيح البخاري، باب قول النبي لتتبعن ...، ج٦، و رقمه ٢٦٦٩.

في الحاسب بديلاً للدوز القديم الذي لا يستطيع العمل عليه إلا المهرة والحاذقون. ولذلك نجد كثيراً من العامة يرون هذا الدين وكأنه طلاسم لا يتقن فك غموضه إلا العلماء فيرجعون إليهم في كل صغيرة وكبيرة فهم ذوو الكفاءات الذين يستطيعون فهم تلك المجلدات الدسمة التي لا ينصحون بها العامة لأنها ليست في مستوى أفهامهم. ومع تعميم نظام النوافذ بات من السهل استخدام أجهزة الحاسب والعمل عليها، حتى الطفل بات بمقدوره اليوم أن يتعامل معه بما يناسبه من برامج.

هذا وإن من خطط الأعداء تعقيد هذا الدين على عموم الناس ليُضعفوا شوكتهم ويَلبِسوا عليهم دينهم، وقد مكثت الأمة قروناً تحت سلطان الكفر وسيطرة الجهل وذلك لمعرفة الأعداء التامة أن عزّ هذه الأمة وعُلوّها إنما يكون في تحكيم كتابها وسنة نبيّها. قال الشيخ أبو بكر الجزائري[1] في مقدمة كتابه "المسجد وبيت المسلم" : (نظراً لصرف أعداء الإسلام المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم

---

(١) الشيخ أبو بكر الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف وله مؤلفات عدة منها أيسر التفاسير.

ليجهلوا فيضلوا فيسهل الاستيلاء على بلادهم ثم حكمهم وإذلالهم وإهانتهم واستغلال خيرات بلادهم ... فاحتالوا على المسلمين وصرفوهم عن القرآن والسنة فأصبح القرآن يُقرأ على الأموات والسنة تُقرأ للبركة لا لمعرفة العقائد والعبادات والأحكام والآداب والأخلاق، وحملوا المسلمين بواسطة رسل الشر الذين فرّقوهم في العالم الإسلامي تحت راية التصوف ومشائخه حملوهم على أن يكتفوا بمصنفات فقهية مذهبية وعقائد أشعرية وماتريدية. وحججهم في ذلك أن القرآن والسنة فيهما الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمجمل والمبين وأنَّى لغير الخواص أن يعرفوا هذا. إذاً فلنبعدْ عن ساحة الخطأ والخطر ولنكتفِ بما وضع سادتنا الفقهاء وعلماء الكلام من الفقه فإن في ذلك غنيةً وكفاية وزيادة. وقالوا في تفسير القرآن صوابه خطأ، وخطؤه كفر، فألجموا كل مؤمن ومؤمنة عن قوله قال الله وأحل الله أو أمر الله أو نهى الله سبحانه وتعالى وأصبح القرآن لا يجتمع عليه اثنان أو أكثر لتدبُّره فضلاً عن تفسيره إلا ما كان من كبار الفقهاء وما أقلهم وصار المسلمون يعلِّمون أولادهم القرآن ليقرؤوه على الموتى في المقابر وبيوت الهالكين ومن السنة يقرأ البخاري للتبرك به ومن ثم أخذ المسلمون يجهلون ويضلون حتى

سهل على خصوم الإسلام وأعدائه من دول الغرب الاستيلاء على البلاد الإسلامية...)[1].

ـ **كيفية النمذجة :**

إن الإسلام نظام متكامل ومترابط مع بعضه البعض ولابد لتسهيل برمجة العقل على اتباع أوامره ونواهيه من عمل تصور شامل للحياة بأكملها وإعادة تخطيط وجدولة عقل الإنسان كما أسلفنا (formatting).

ويَتمّ ذلك بداية ببيان الصورة الكاملة عن الكون ونحدد فيه موقعه ونبين علاقته بالإنسان وسبب وجوده فيه، فكل فرد منا بحاجة إلى أن يبسط أمامه خارطة الحياة وينشئ لنفسه خطة الطريق فإذا أتم ذلك بنجاح فهو غاية ما يطلبه الفرد وهنا تكمن قوة النمذجة فهي خطة محكمة لتحسين العمل وجودة الأداء في الدنيا والآخرة قوامها أوامر الله ونواهيه واحتساب حياته كلها لله عاملاً بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢].

---

(١) المسجد وبيت المسلم ص٥-٦.

فعلى ضوء ذلك تتم الخطط والأهداف المرحلية المؤدية بعد ذلك إلى الهدف الأساس، وما من شك أن التخطيط المسبق يساعد على نجاح الخطة وتفعيلها بنسبة عالية، وللمحافظة على موارده من الهدر والتسيب. قال ﷺ: ((اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))(١). حتى وإن لم يستطع تحقيق جميع ما في الخطة من أهداف فإن نسبة نجاحه وفوزه بإذن الله في الدنيا والآخرة سوف تزداد ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

وتتكون خطة الطريق من عدة خطوات:

١- حوّل الآمال والطموحات إلى أهداف مرحلية ولتصب جميعها في الهدف الأسمى الذي خلقت من أجله لأنه بذلك يكون قد أقنع نفسه وبرمجها على أن الهدف الأساس هو عبادة الله ونيل رضاه. كثير من الناس ينخرطون في تحقيق أهدافهم المرحلية وكأنها

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦)، عن ابن عباس وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكر نحوه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٧٧).

الهدف الأساس فيعمل لها وكأنها غايته ومنتهى أمله وبدلاً من عبادة الله تجده يعبد الوظيفة أو الدرجة العلمية وهكذا .

٢- قدّر المسافة من نقطة البداية حتى النهاية ثم اقذف بحبل آمالك إلى هناك :

هذه الطريقة تعدُّ أسلوباً ناجحاً في تتبع وتحديد الطريق الموصل للهدف. إن المتسلق لقمم الجبال يرمي الحبل بادئ ذي بدء إلى الهدف ويثبته في أعلى القمة ثم يبدأ الصعود درجة بعد درجة متمسكاً ومتتبعاً ذلك الحبل حتى يصل إلى القمة. كذلك المهندس المعماري إذا عزم على إنشاء مبنى من عدة طوابق فإنه يبدأ بتصميم أعلى طبقة في المبنى بمواصفاتها الدقيقة ثم يبدأ في النزول طابقاً طابقً حتى يصل إلى الأساسات والقواعد. أما عند التنفيذ فإنه يشرع في البناء من الأساسات والقواعد ثم يصعد بعد ذلك طابقاً طابقاً، لأنه إن لم يفعل ذلك قد لا يستطيع تقدير الطاقة الاستيعابية وقدرة التحمل لكل طابق.

حسناً .. فلنفترض الآن أن شخصاً ما يدرس في المرحلة

المتوسطة وضع هدفاً مرحلياً هو الوصول إلى أعلى درجات العلم وهي درجة الدكتوراه، هنا يقذف بالحبل حتى يصل إلى تلك الدرجة ثم يقدر المسافة وعلى ضوئها يستطيع أن يؤكد بأن عليه اجتياز مرحلة الماجستير ثم البكالوريوس بأعوامها الأربعة ثم الثانوية بأعوامها الثلاثة إلى أن يصل إلى مكانه فيكون بذلك قد رسم الطريق وبيّنه.

٣- تعريف وحدة القياس : لابد من الدقة عند تحديد الهدف وبيان مواصفاته، فلنفترض أن شخصاً ما قد حدد هدفاً مرحلياً وهو الحصول على درجة الدكتوراه. عند تعريف هدف كهذا لابد من بيان نوع التخصص ثم سبب الاختيار وهو ما يسمى بوحدة القياس، هل هو للعمل في المجال الأكاديمي في جامعة من الجامعات أو للعمل في أي جهة أخرى أم هو فقط الجاه والمكانة الاجتماعية، فإن ذلك يحدد مصدر الشهادة ووجهتها. وما أكثر من يشترون الشهادات للجاه والمكانة الاجتماعية من تلك الجامعات التجارية المشبوهة، أما إن كانت وحدة القياس هي

العمل فلا بد من اختيار جامعة معترف بها دولياً ولها صيتها وسمعتها.

٤- تحديد جميع الموارد مادية وصحية وزمنية وعلمية وقدرات عقلية ومهارات وغيره.

وتعتبر الوقود الذي يمدُّ الفرد بالطاقة لبلوغ الهدف المنشود فمن وضع هدفه أن يكون طبيباً على سبيل المثال فإن وسيلة ذلك بعد الاستعانة بالله عز وجل هو اختيار التخصص العلمي منذ البداية وأن يجدَّ ويجتهد بحيث يصل إلى ما فوق ٩٠٪ في مجموع الدرجات، هذا بالنسبة للأهداف المرحلية أما الهدف الأساس وهو الجنة فإن وسيلة ذلك هو استغلال تلك الموارد بعد تحقيق متطلبات الدنيا في عبادة الله.

٥- تحديد جميع المتطلبات والواجبات وعقبات الطريق المتوقعة لما في ذلك من أهميه عظيمة في الوصول للهدف المنشود فمن يضع هدفه أن يكون مهندساً مثلا وقدراته العقلية لا تسمح له بفهم المسائل الرياضية واستيعابها قد لا يصل إلى هدفه . ومن يضع

هدفه أن يعمل في مجال الطيران مثلاً وهو ضعيف البصر فإنه بذلك يهدر وقته ويضيع ماله وصحته سدى.

٦- ابدأ السلم من أول درجة ولا تحاول القفز لعدة درجات لأن ذلك يقلل من إتقان العمل وإحسانه، وهدف النمذجة أن يكون العمل وفق أسس ثلاثة سبق ذكرها وهي (الإحسان والتنويع والإكثار) فقليل متقن خير من كثير لا إتقان فيه.

٧- ربط الأوامر بمحفزاتها والنواهي بوعيدها وتهديداتها لحث النفس على تفعيلها والاستقامة على حدودهما وذلك لا يتأتى إلا بالعلم والاطلاع.

بعد بيان الصورة كاملة من الهدف والمتطلبات والوسائل والموارد وغيرها لابد بعد ذلك من بيان الجدول الزمني الكامل للحياة الحقة (time horizon) لتتسع دائرة قراراته وللشعور بالارتباط بالمستقبل البعيد ودمجه مع القرارات اليومية لأن قرارات الإنسان مؤثرة في جميع الدائرة الزمنية للحياة. فما من إنسان إلا ولديه نظرة مستقبلية تتأثر قراراته تبعاً لها، فمن الناس من تنحصر

دائرة تفكيره المستقبلية حتى نهاية يومه الذي يعيشه فقط، ومنهم من ينظر إلى أسبوع قُدُمًا، ومنهم إلى شهر ومنهم إلى سنة ومنهم إلى حياته الدنيا ككل إلى ستين أو سبعين سنة إلى الأمام. وهذه النظرات من قريب ومن بعيد لها أعظم الأثر في التحكم في قرارات الفرد والتأثير عليها؛ فالذي ينظر إلى يومه فقط أو حتى إلى حياته الدنيا ممن لا يؤمنون باليوم الآخر نجد أنهم أقصى ما يخططون له هو سن التقاعد فذلك مبلغهم من العلم، فيدرسون أوضاعهم المستقبلية حتى ذلك الحدِّ وطرق توفير المعيشة الرغدة والاستقرار المادي حينئذ، فجلُّ قراراتهم تتأثر بالتخطيط لذلك اليوم الذي يراه بعيد المدى بل هو يمثل أبعد المدى في دائرته المنظورة.

أما المسلم فينبغي له توسيع هذه الدائرة وتجاوز هذه المسافة إلى ما بعد الموت والحساب، إلى دار المقامة الأبدية، فحياته لا تنتهي بانتهاء هذه الحقبة الدنيوية القصيرة بل هي مرحلة تتبعها مراحل (البرزخ ـ يوم الحساب ـ الدار الآخرة) فإذا دمج هذه المراحل مع بعضها البعض وتصور أن حياته لا نهائية فإن قراراته حتماً سوف

تتأثر تبعاً لذلك فهو الآن يعمل العمل يرجو أن يرى ثوابه في الدار الآخرة ويمتنع من غيره خشية أن يرى عقابه هناك.

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥].

فتجده يبتعد عن التعامل بالربا حتى لا يسبح في نهر الدم الذي يلقم فيه الحجارة ثم لا يخرج منه حتى قيام الساعة. ويقرأ سورة الإخلاص فيرددها عشراً حتى إذا ختمها يتصور أنه قد شيد في الجنة قصراً، إنه يتخيل جنته قطعة أرض ينبغي عليه بناؤها وتشييدها في هذه الدنيا حتى إذا ذهب إليها وجدها حدائق غناء وقصوراً منيفة.

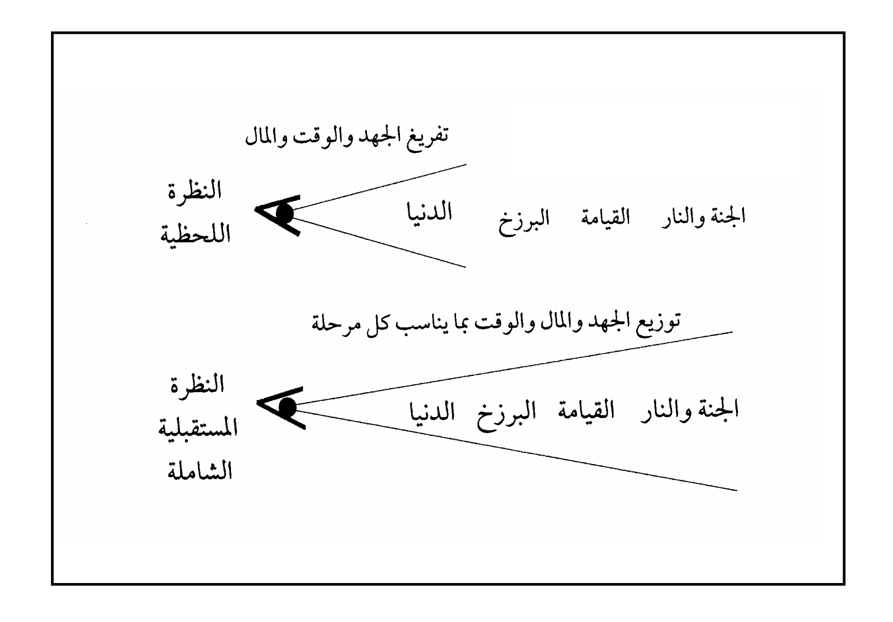
وها هو يتلو القرآن متخيلاً أنه يصعد في درج الجنة فيعتلي بجنته حتى يضعها في أعالي القمم، ثم ها هو يتعامل مع غيره بالحسنى يبتغي القرب من سيد الخلق ﷺ القائل: ((إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون)) (١).

---

(١) سنن الترمذي ورقمه ٢٠١٨ وقال حديث حسن غريب وقال الألباني حديث صحيح.

بل إن من غير المسلمين من يعتقد بوجود الجنة وأنها تكون لكل من حسن خلقه وسلم الناس من أذاه لذلك فإن ذلك الاعتقاد وحده كفيل بأن يؤثر على قراراته ويحسنها، فما بال من لا يُقدم على أي عمل إلا بثواب أو عقاب وهذا شأن المسلم لا يُقدم على عمل إلا هو يرجو من الله عليه الثواب ولا يحجم عن عمل إلا وهو يخاف من الله عليه العقاب.

وهذا الشكل يبين الفرق بين النظرة اللحظية للحياة وبين النظرة الشمولية.



فإذا رسم هذه الصورة المتكاملة عن الحياة بمراحلها وحدد الهدف والوسائل والموارد وقام بتعريف المتطلبات يكون بذلك قد أعاد تخطيط مساحة الذاكرة وجدولها (Formatting) فهو الآن يعلم حجم الدنيا وما يحتاجه فيها وهو الآن يقدر لكل مرحلة قدرها، حتى إذا تلقى أي معلومة جديدة وضعها في خانتها الصحيحة. ضمن إطار كلّي، حتى إذا نظر وتفكر في أمر ما استحضر في ذاكرته كل ما يختص بذلك الموضوع من معلومات يعرفها. و إلا فإن الذاكرة ستتلقف المعلومة الجديدة وتكدسها في مكان بين طياتها فتكون في عداد المعلومات غير الفاعلة في القرار لأنه غير قادر على استرجاعها في وقتها المناسب (un retrievable data) كالذي يدخل المسجد مثلاً لأداء الصلاة فينتظم في صف من الصفوف وهو يعلم فضل سد الثغرات ويعلم فضل الصفوف الأولى ويرى الثغرة في الصف الذي أمامه ثم لا يجد نفسه تتقدم فتسد تلك الثغرة ليحصل بها على أجرين أجر سد الثغرة وأجر الصف المتقدم. وقد يدخل السوق وعنده علم مسبق بدعاء السوق

وفضله العظيم ولكنه لا يستحضره هناك ولا يشتد حرصه لتطبيقه.

إذن هناك معلومات تدخل الذاكرة المبعثرة فتخزّن بين طياتها وتصبح منسيّة وغير نشطة.

ونستطيع إعادة تنشيط المعلومة وجعلها نافذة وفاعلة (active) بعدّة خطوات :

١ـ إدخال المعلومة باستغلال أكثر من حاسة ما أمكن كالسمع والبصر معاً.

٢ـ أن يتم إدخالها بطريقة ممنهجة ومنظمة.

٣ ـ العمل بها.

٤ـ الدعوة إليها أو تدريسها.

ومما يؤخذ على بعض دعاة اليوم هو الخوض في الجزئيات والتفصيلات قبل الربط الكلي وبيان الصورة الكلية في البداية فينتج عن ذلك تصغير لدائرة المتلقين وحصر لها فتدور معظم قراراتهم في فلكها وهذا ما يسمى بالنظرة القاصرة أو المحدودة.

فعَلى سبيل المثال هناك من يدعو للأخذ بالأسباب المادية

للنصرة على العدو وأن الأمة تأثم إذا تقاعس أفرادها عن صنع الطائرة مثلاً أو زرع شجرة هي بحاجة إليها للاكتفاء والاستغناء عن العدو، بهذه النظرة الجزئية يكون قد حصر المتلقين في دائرة الأسباب المادية بل لابد من بيان الصورة الكاملة والتي تتمثل في وهن الأمة وحب الشهوات والتعلق بالدنيا والبعد عن الله وقلة اليقين وعدم الثقة بموعوده.

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ويبين الحلول للرجوع إلى الله ويربط ذلك بالنصر ثم يدعم ذلك ببذل الأسباب المادية متمثلاً قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ

تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

فعندئذٍ تكتمل الصورة في الأذهان وتتسع الدائرة.

كذلك الطبيب ينبغي أن يبين لمرضاه أسباب المرض الأخرى من بعد عن الله والتمادي في اقتراف الذنوب والمعاصي وضرورة الرجوع إلى الله والتوكل عليه في الشفاء بداية ولا بأس من العلاج بعد ذلك.

إن إغفال العامل المعنوي ينمي قناعة الإيمان بالماديات والتوكل عليها حتى يصل به الأمر إلى أن يبتعد عن التوكل على الله بالكلية والعياذ بالله كبعض الدعاة إلى العلمانية اليوم.

ومن مميزات (جدْوَلة) العقل وبرمجته على الهدف أن الفرد إذا وصل إلى الهدف الدنيوي الذي يكون قد نصبه لنفسه تتكاسل أعضاؤه وتبدأ همته في الفتور وكأن عقله يرسل إشارة أن ها قد أحرزنا الهدف فلنتوقف.

مثال : قد يضع شخص ما هدفاً مادياً وهو تحقيق نصف

مليون ريال سنوياً ويبدأ حثيثاً في إحرازه والسعي من أجل تحقيقه بناءً على نظرته الشاملة بأن الحياة مرحلة قصيرة ولا ينبغي أن يوغل فيها بعمق وأن سعيه في ذلك من أجل الاكتفاء المادي له ولأسرته وأن الدار الآخرة هي الأبدية وهي المعول عليها فإنه هنا ما إن يبلغ الهدف المنشود حتى تفتر همته ويبدأ في التكاسل عن طلب المزيد من الدنيا مع استمرار الهمة في العمل من أجل الآخرة والتي لا يتحقق هدفها إلا يوم القيامة. أما الأفراد الذين لا يُجدْولون مكتباتهم العقلية وينظّمونها تجدهم يطلبون المزيد والمزيد للدنيا وكأنهم مخلَّدون وهؤلاء ينطبق عليهم قوله ﷺ :

((لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغَى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)) (١).

ثم تجده يعلل ذلك بأنه مطالب بتعمير الدنيا فيسهل على هؤلاء دخول عامل هوى النفس وسيطرته على القرارات بدلاً من العقل، وقد كثر اليوم أصحاب الأهواء الذين تحكمت حظوظهم الخاصة ورغباتهم الدنيوية في قراراتهم تحت مبررات خاطئة وليست

---

(١) صحيح مسلم، ج٢/ ص ٧٥٠ و رقمه ١٠٤٨.

من الحكمة في شيء فهناك عوامل عدة تدخل على أصحاب الـذاكرة المبعثرة فتحكم قراراتهم أو يكونون أكثر عرضـة لهـا بيـنما يضـمحلُّ دور العقل عـن النظر في البـدائل وتمحيصـها ويـنحصر في تخـزيــن المعلومة وإنفاذها. تلك العوامل هي :

أ. هوى النفس.

ب. الجهل.

ج. إرضاء الغير.

د. وساوس الشيطان.

و مما تجدر الإشارة إليه أن للهدف الأخروي خصـائص يتميـز بها عن الأهداف الدنيوية :

١ ـ أنه ليس له حد أقصى مهما استكثر منه الفرد فهو لا ينتهي إلى نهاية.

٢ ـ ليس له حد تشبُّع واكتفاء.

قال ﷺ : ((لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنّة)) (١).

٣ـ ليس من وسيلة من وسائل الوصول إليه إلا ولها نطـاق يـتراوح

---

(١) رواه الترمذي و قال : حديث حسن. و الحديث بلفظه في رياض الصالحين ، و رقمه ١٣٩٤ و ضعفه الألباني.

بين الفاضل والمفضول.

فينبغي للفرد أن يحدد مستوى الطموح الذي يتطلع للوصـول إليه وهل هو ممن يتطلعون إلى القمم أم إلى السفوح. ومن المعلـوم أن تحقيق درجة الكمال وهي ١٠٠٪ من أهداف الـدنيا أمـر غـير ممكـن البتة. أما هدف الآخرة فمن الممكـن تحقيـق الحـد الأقصى فيـه بعـد فضل الله ومنته وهو الفردوس الأعلى.

ومن المهم الأخذ في الحسبان طاقـة الفـرد وقدرتـه ومهاراتـه. فقد يضع شخص مستوى هدفه دخول الجنة فقـط بـدون تطلـع إلى درجاتها العُلى كالأعرابي الذي سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقـال له : خمس صلوات في اليوم والليلة فقال هل عليَّ غيرها قـال : لا إلا تطوَّع قال رسول الله ﷺ وصيام رمضان قال: هل علي غـيره؟ قـال : لا، إلا أن تطوَّع. قال : فأدبر الرجل وهو يقـول : والله لا أزيـد عـلى هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق[1].

و قال ابن بطال دلَّ قوله أفلح إن صدق على أنـه إن لم يصـدق

---

(١) صحيح البخاري ، باب الزكاة، ج١ / ص ٢٥، ورقمه ٤٦.

فيما التزم لا يفلح[1] ومعنى الفلاح هنا دخول الجنة كما ورد في رواية ((لئن صدق ليدخلن الجنة)) فالفلاح معلق على قوله (ولا أنقص) إذ لو نقص عن هذا الحد وهو الأدنى لم يفلح.

وهذا لا يستدعي التخطيط وذلك لزيادة نسبة الموارد على الوسائل والمتطلبات، إنما يكون التخطيط عند شحّ الموارد. أرأيت الفرق بين طالب الامتياز والطالب الذي جل همه الحصول على درجة القبول فحسب فإن هذا الطالب لا حاجة له لبذل الجهد والتخطيط وتنظيم الوقت وباقي الموارد أما طالب الامتياز فإنه يضنُّ بوقته حتى في سبيل راحته فقد لا ينام الليل ليوفر هذا المورد لدراسته وتحصيله هذا بالإضافة إلى أنه قد لا يكتفي بكتاب واحد بل يبحث عن المزيد من المصادر التي تفيده وتزيد من علمه وتجده يستاء ويشتد حزنه على الدرجة الواحدة يفقدها.

فمن أراد الدرجات العلى والعمل لها لابد له من تنظيم وقته واستغلال شبابه وصحته وماله في سبيل تحقيق ذلك.

---

(١) فتح الباري ج١ / ص ١٠٨.

فالحاجة إلى البرمجة تنشأ عندما يكون الطلب أكثر من الإمدادات.

ـ كيف تضع نموذجاً يشمل جميع الأوامر والنواهي ليسير عليه الفرد ويساعده على ترشيد القرار واستثمار الموارد بالطريقة المثلى.

يجب أن يكون لكل إنسان نظام تشغيل خاص به مستنبط من النموذج العام (الإسلام) ومتوافق معه ومبني على الوسع والطاقة إذ من المحال أن يستطيع الفرد أن يلم بجميع شرائع الدين من أولها إلى آخرها وعلى وجهها الأكمل بل يأخذ منه ما يتوافق معه ويسهل عليه تطبيقه والسير على منهجه فديننا مبني على اليسر والسماحة، قال ﷺ: ((إن الدين يسر ولن يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلَبَه فسدِّدوا وقاربوا...)) [1] وقال: ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة))[2] القائمة على التوسُّط، فنظام التشغيل الأساس عظيم الاتساع ولا يستطيع الفرد الإلمام بجميع عناصره لذلك قال ﷺ: ((إن هذا الدين

(١) صحيح البخاري، باب الدين يسر، ج١ ص٢٣ورقمه ٣٩.

(٢) المصدر السابق.

متين فأَوْغِلوا فيه برفق)) (١) وهذا جوهر الاختلاف بين المسلمين إذ ليس من الممكن وضع أنموذج واحد لجميع الأفراد فكلٌ له متطلباته وموارده وأهدافه الخاصة. ولكن يجب لكل أنموذج أن يكون ضمن الدائرة الشرعية ولا يخرج عنها قدر أنملة. فكل أنموذج يجب أن يحتوي على البنود التالية والتي سبق ذكرها :

١ـ وضع جميع الأوامر والنواهي بحدودها وشروطها ونطلق عليها الوسائل الموصلة للهدف.

٢ـ تحديد المتطلبات الخاصة بالفرد صاحب الأنموذج.

٣ـ تحديد الموارد (مال، صحة، علم، وقت).

٤ـ تعريف كل وسيلة وما تحتاجه من موارد، ومن الأمور المحتمة أن تشترك عدة وسائل في مورد واحد لذا لابد من توزيع الأعمال بحسب الأهم والأَوْلى والمردود الأعلى للحسنات.

٥ـ إعطاء كل وسيلة (ثقلاً) أو وزناً (weighting factor) وهي الأجور المحفِّزة على العمل وذلك كما قال ﷺ : ((أيكم يحب أن

(١) رواه أحمد، مسند أنس بن مالك، ورقمه ١٣٠٥٢، وقال الأرناؤوط حسن بشواهده.

يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوْماوين في غير إثم ولا قطع رحم))، فقلنا : يا رسول الله نحب ذلك، قال : ((أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)) [١]. وقوله : ((من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة)) [٢] وقال: ((ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة، أو إلا بُني له بيت في الجنة)) [٣].

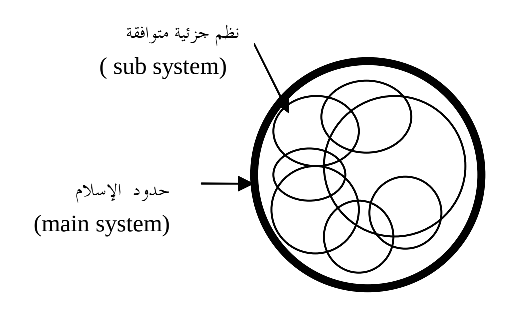
ونستطيع أن نوضح بالشكل دائرة الإسلام الكبرى (النظام العام) (main system) وهي جميع الأوامر والنواهي. ثم نظم الأفراد الجزئية (sub system) المتوافقة مع النظام العام ومع موارد

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين و قصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة و تعلمه، ج(١/ ٥٥٢)، و رقمه(٨٠٣).

(٢) رواه الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب في فضائل ((سبحان الله وبحمده)) حديث رقم ٣٤٦٤ و ٣٤٦٥ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٦٤٦).

كل منهم ومتطلباته وهدفه :



نلاحظ كما في الشكل أن جميع النظم الجزئية داخلة ضمن إطار الإسلام ولابد أن تكون مشتملة على أسس النظام العام الأساسية (الأركان والواجبات).

خطوات مهمة عند اتخاذ القرار وتفعيله :

١- أن يستحضر جميع ما عليه من متطلبات (مالية، دينية، اجتماعية، وبدنية).

٢- دراسة تأثير القرار على البُعدين الزماني والمكاني (in time and space) ودراسة منتهى تأثيره حتى لا يشوبه الجور أو الإضرار بمن حوله تأسياً بقول الرسول ﷺ : ((لا ضرر ولا ضرار)) (١).

(١) المستدرك على الصحيحين ج :٢ ص :٦٦ ورقمه ٢٣٤٦ وذكره الألباني في صحيح الجامع.

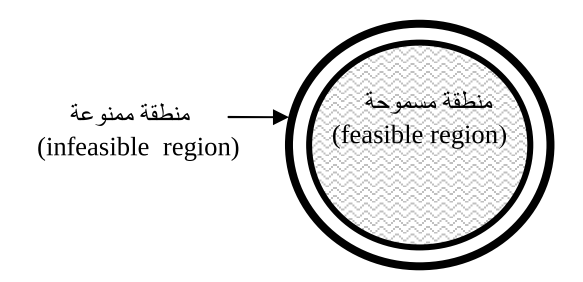
فالبُعد المكاني يحدد دائرة الأشخاص الذين سيؤثر فيهم القرار ويبحث في المصلحة والمفسدة لكل منهم وعلى ضوء ذلك يتم الترجيح.

والبعد الزماني يحدد مدى فاعلية القرار ومدة استمراريته.

مثال : رجل لديه ستة من الأبناء وكان قد اعتاد على أن يمنح أبناءه هدية قيمة في كل عيد. وعندما تزوج الابن الأكبر وأنجب طفلاً، قرر الأب أن يشمل هذا الحفيد بهداياه القيمة. هنا لا بد أن لا ينبني قراره هذا على حبه للحفيد الأول بل لا بد أن يضع خطة مستقبلية ويسأل نفسه ماذا لو أنجب ابنه الحفيد الثاني والثالث والرابع ولو تزوج ابنه الثاني الذي أوشك على التخرج من الجامعة إذن لا بد من أن يضع خطة مبدؤها العدل فلا تحلق به مشاعر الأبوة والحنان فيمنح حفيده الأول مالا يستطيع أن يمنحه للآخرين، وعليه هنا أن ينظر في إمكانياته المادية ثم في عدد من سيشملهم القرار وعلى ضوء ذلك يحدد المبلغ المفترض أن يكون هدية لذلك الحفيد. وقد يتغير القرار تبعا للبعد الزماني فإن كان هذا الجد قد بلغ من الكبر عتيا ،عندئذ يجب ألا تكون خطته المستقبلية بعيدة الأمد لأنه ربما لا يدرك جميع أحفاده.

كثير من الناس لا يعير هذا الأمر اهتماماً كبيراً وهو العدل في العطاء أو الهدية حتى لو كانت بين الأقربين من الأصدقاء أو الجيران في مناسبات معينة فتجده يعطي هذا ويُغدق عليه ويقتر على الآخر وقد لا يعطيه البتة، مما يوغر الصدور أو يُشعر الآخرين بتفضيل أحدهم على الآخر. بينما لو خصص المرء لكل فئة من الناس مبلغاً معيناً مبنياً على قرار مسبق لكان ذلك أقرب إلى المثالية والعدل وأذهب لمشاعر البغض والإحساس بالتفاضل.

٣- لابد أن يكون القرار ضمن نطاق الشريعة السمحة ولا يتعارض معها، وأن يستحضر جميع المأمورات والمنهيات المتعلقة بمشكلته. فهو بذلك ينشئ منطقتين لاتخاذ القرار : منطقة خضراء (green zone) ملائمة ومسموح بها (feasible region) وتمثل الدائرة المظللة في الشكل التالي، ومنطقة حمراء (red zone) ممنوعة (infeasible region) وتمثل الدائرة الكبرى في الشكل فلا يسمح لقراراته أن تنتقل من هذه المنطقة إلى تلك البتة.



٤- ثم بناءً على معادلة الهدف (objective function) وهي إما رغبة الفرد في تعظيم الأجر والوصول بقراره إلى حد الكمال، أو الاكتفاء بحد الإجزاء والكفاية فقط. فبناءً على هذه المعادلة يختار من المنطقة المظللة المسموح بها ما يحقق ذلك الهدف ولا يتعارض مع المتطلبات.

٥- عند مطابقة معادلة الهدف مع المنطقة المسموح بها يتضح أن هناك أمرين : متطلب فعّال ومؤثر في القرار (active constrained) ومتطلب غير فعّال وغير مؤثر في القرار (inactive constrained). والمتطلب الفعّال هو ذلك الذي سوف ينبني عليه القرار الأمثل.

مثال ١: زواج المسلمة بغير المسلم:

امرأة مسلمة تَقدَّم شاب نصراني لخطبتها فوافقت مدعية أنها متمسكة بالإسلام ولن يؤثر ذلك على دينها وعبادتها.

بالنظر إلى قرار كهذا نجد أنه يُعارض المتطلَّب الديني فيدخل بصاحبه فوراً إلى المنطقة الحمراء. فعقد النكاح باطل شرعاً فتكون المرأة باستمرارها فيه زانية ومرتكبة لكبائر عدة قد تُخرجها عن الدين بإصرارها عليها. فالمتطلب الفعّال المؤثر على القرار هنا هو المتطلب الديني حتى ولو توفَّر لها بهذا الزواج جميع المتطلبات الأخرى من متطلب بدني كأن تخاف على نفسها الغواية وهذا الزواج سيساعد على استقرارها على حد زعمها، أومتطلب اجتماعي فهي ممن يعيشون في بلاد الغرب حيث يندر وجود الزوج المسلم وهي بحاجة إلى من يؤنس غربتها مثلاً. أو متطلب مالي كأنْ يكون الرجل موسراً مثلاً وهي فقيرة وبها فاقة فلا تزال جميع هذه المتطلبات غير فاعلة في القرار ويكون القرار هنا هو الرفض التام لأنه سيُخرجها من المنطقة الخضراء المسموحة إلى الحمراء الممنوعة.

إذن ليس هناك حل لقرار كهذا إلا إذا أسلم الرجل، عندئذ تحل له وتدخل المنطقة الخضراء المسموحة.

مثال٢ : خروج المرأة للعمل :

مما ابتلي به المسلمون في عصرنا الحديث كثرة خروج المرأة من بيتها وأضحت خرّاجة ولّاجة لحاجة ولغير حاجة ففُتنّ وفَتنّ. ولو نظرنا في قرار خروج المرأة من بيتها نجد أن المتطلب الذي يجب تفعيله هنا (active constrained) هو المتطلب الديني وهو مستمد من النظام الأساس وهو الشرع الحكيم فقال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وهو القرار الأمثل إلاَّ أنه قد يتغير هذا القرار فلا يكون الأمثل في حقها بحسب ظروفها ومتطلباتها.

فقد تواجه عائقاً بدنياً يعوقها عن تفعيل هذا القرار فيتطلب ذلك خروجها للعلاج مثلاً أو لشراء بعض الحاجات فيكون العامل الفاعل لاتخاذ القرار هنا هو المتطلب البدني.

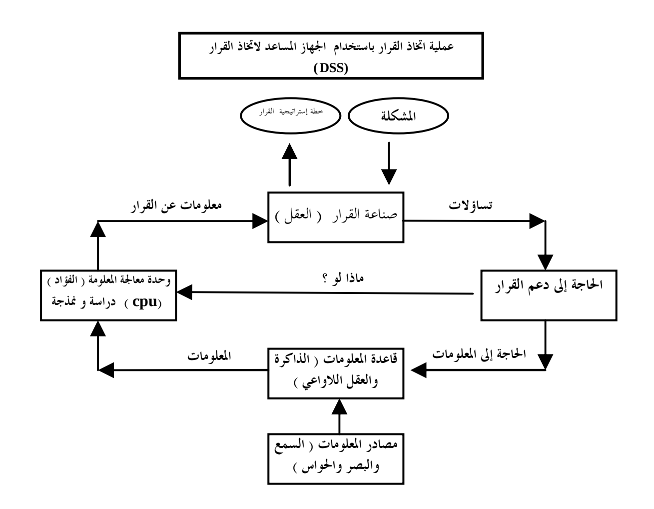
وقد تواجه عائقاً آخر كفقد العائل مما يدفعها للخروج في طلب الرزق فتخرج للعمل ويكون العامل المؤثر في القرار هنا هو المتطلب المالي.

وقد يكون هناك عوائق أخرى تعوقها عن تحقيق القرار الأمثل كاحتياج المجتمع النسائي لها إما للدعوة أو التمريض والطب والتعليم فتلبي ذلك على ألاَّ يتعارض مع متطلباتها الأخرى في المنزل

من رعاية البيت والزوج والأبناء. ويكون القرار الفاعل والمؤثر هنا هو المتطلب الاجتماعي.

هذه القرارات يجب ألاَّ تكون ارتجالية بل يجب أن تكون متأنية وناضجة قد مرت بدهاليز جهاز اتخاذ القرار المساعد ومكثت في فرنه حتى بلغت مرحلة النضج فخرجت كصناعة جديدة لا تعتمد على التقليد والمحاكاة كما يفعله الإمَّعات ممن يهملون جهاز اتخاذ القرار ويكتفون بالجهاز الافتراضي (default) الموجود لديهم منذ الصغر.

وفيما يلي شرح لكيفية صناعة القرار وعملية التفكير المنظم باستخدام الجهاز المساعد لاتخاذ القرار:



كيف تتم عملية اتخاذ القرار ؟

١- تبدأ عملية اتخاذ القرار بوجود مشكلة ينبغي حلها.

٢- ترد هذه المشكلة إلى العقل. يبدأ العقل بالتفكير وجمع المعلومات المساعدة لاتخاذ القرار.

٣- هناك ثلاثة مصادر لإمداد العقل بالمعلومة فقد يحتاج إلى الذاكرة لدعم القرار بالمعلومة الصحيحة أو ذاكرة العقل اللاواعي أو إلى معلومات فورية تأتيه عبر الحواس الخمس.

٤- تذهب المشكلة وما يدعمها من معلومات إلى القلب للمعالجة والبتّ في قبولها من عدمه أو طرح الاقتراحات عن طريق تحليل البدائل المختلفة لحل هذه المشكلة وذلك بتقييم المنفعة المباشرة وغير المباشرة ، المحسوسة وغير المحسوسة ، في الزمان والمكان.

٥- تعود المعلومة مرة أخرى إلى العقل لتنفيذ البديل الأمثل الذي تم اختياره عن طريق تحليل المعلومة فتخرج في صورة قرار.

إدارة الموارد

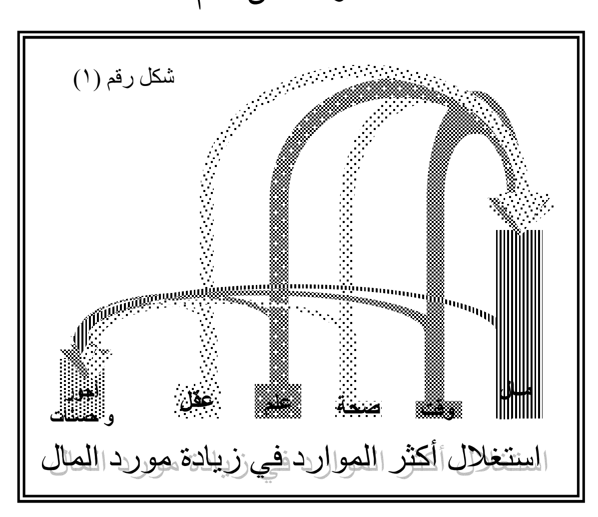
وهب الله الموارد لكل إنسان لينفقها في طاعته وتكون عونًا له على تحقيق الهدف الذي جاء من أجله إلى هذه الأرض. لكن ما يفعله كثير من الناس اليوم من ركض خلف الشهوات والتكاثر في عرَض الدنيا يكشف عن هدر عظيم لتلك الموارد واستغلالها بطريقة عشوائية قد لا تصبُّ في الهدف المنشود. فالموارد كما نبينها في الأشكال التوضيحية إما أن تستثمر جميعها لتصب في مورد المال. وإما أن ينفقها في نيل علم لا ينفعه في آخرته، وإما أن ينفقها في تحقيق شهوات أخرى من نساء أو أسفار أو ترفيه عن النفس. وإما أن يستثمر تلك الموارد جميعها لتصب في بند الأجور والحسنات مع تحقيق كثير مما تصبو إليه نفسه في الدنيا. تصديقًا للحديث الشريف قوله ﷺ: ((من جعل الهموم هماً واحداً، هم المعاد، كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته يهلك)) (١).

فمن الناس من تُغريه المادة فيسعى لجمعها ويستنفد في ذلك جميع موارده فقد يفني عمره وعقله وصحته في سبيل زيادة رأس ماله

---

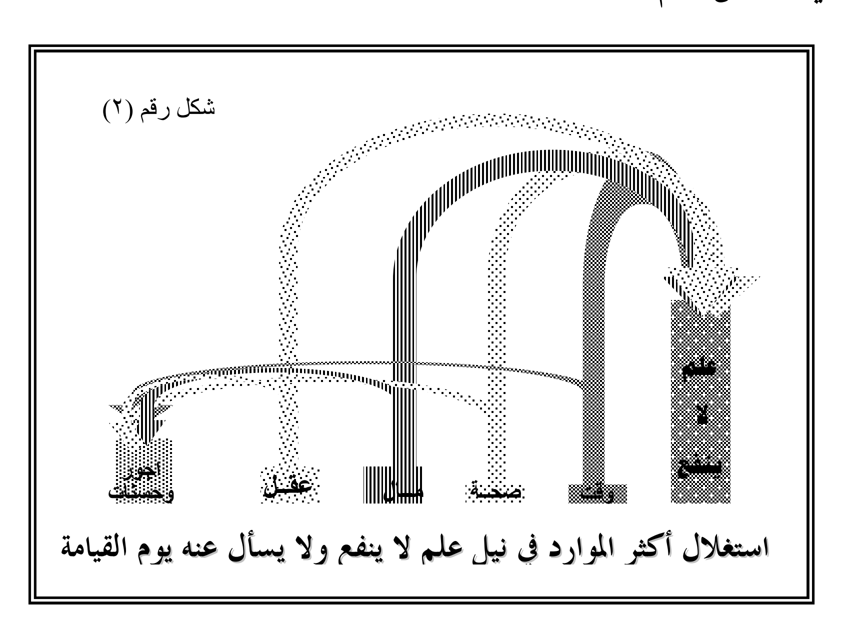
(١) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا (٢/ ١٣٧٥) و رقمه (٤١٠٦) وحسنه الألباني.

وتكديسه في البنوك ، فما عنده من **مال** يستثمره في المزيد، وما يملك من **وقت** يستغله في البيع والشراء أو يضاعف وقت وظيفته ليرفع من مرتبه، فلا تكاد تراه إلا في متجره أو مقر عمله صباح مساء وما وهبه الله من **عقل** يكون قد أجهده كثرة التفكير في الصفقات والحِيَل لزيادة دخله، لا مكان فيه للتخطيط لآخرته. وما أنعم عليه ربه من **صحة** ونشاط يكون قد استنفده في طلب المال فإذا عاد إلى منزله عاد مهدوداً، قد بذل صحته في جمع المال وتكديسه. فلا يتبقى له إلا القليل من وقته الذي يحتاجه للراحة بلا شك؛ فلا وقت لديه لنافلة أو قربة يتقرب بها إلى الله أو علم نافع يتعلمه ليرفع عنه الجهل بدينه ويحتسبه عند الله بل لا قدرة له على ذلك والله المستعان(انظر الشكل رقم ١).



استغلال أكثر الموارد في زيادة مورد المال

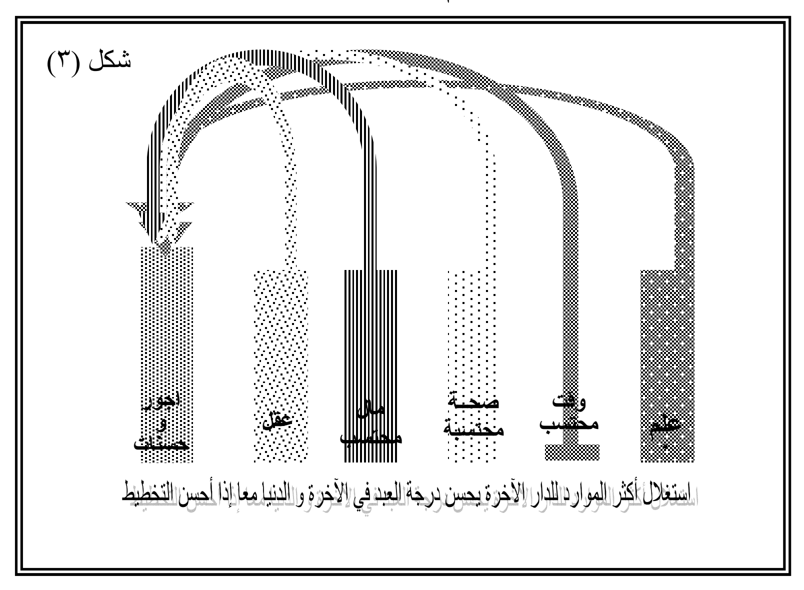
ومن الناس من يستهويه العلم الدنيوي والإكثار منه فيسخّر جميع طاقاته وموارده لنيله، والبروز فيه ، فماله ووقته وصحته مبذولة جميعُها لتحصيله، والارتقاء فيه والبحث تلو البحث للتعمق فيه وسبر أغواره. قد استأثر البحث فيه بِجُلِّ تفكيره وعقله، فلم يعد له من موارده إلا القليل لآخرته. والخسارة كل الخسارة إذا كان هذا العلم لا ينفعه في آخرته كالتعمق في لغة معينة أو عادات وتقاليد الشعوب أو لعبة من الألعاب أو طعام من الأطعمة وغير ذلك كما في الشكل رقم (٢).



استغلال أكثر الموارد في نيل علم لا ينفع ولا يسأل عنه يوم القيامة

ومنهم من آتاه الله الحكمة في حسن إدارة موارده واستثمارها لآخرته من غير أن يخسر دنياه عاملاً بقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [القصص: ٧٧].

وذلك كما في الشكل رقم (٣) :



استغلال أكثر الموارد للدار الآخرة يحسن درجة العبد في الآخرة و الدنيا معا إذا أحسن التخطيط

وبذلك يكون قد استثمر طاقاته وموارده لتصبّ جميعها في خانة الأجور والحسنات وذلك بأمرين :

١ـ تحقيق المتطلبات باعتدال ودون إسراف أو تقتير عاملاً بقوله عز وجل: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

٢ـ باحتساب نية العبادة والإخلاص لوجه الله في كل عمل، عاملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فوَقته وجهده وصحته مبذولة فيما يُرضي مولاه، وعقله وفكره مُنصبٌّ للتفكير والتخطيط لكسب الحسنات آخذاً بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥].

فقوله: ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ تدل دلالة واضحة على تلك الموارد بالإضافة إلى غيرها كالأبناء والأهل والخدم فكل ما استطاع الفرد التحكم فيه وتسخيره فهو مورد من الموارد.

وختاماً ...

قد نجد فيما يطرحه هذا البحث صعوبة في التطبيق أو مثاليات قد لا نستطيع الوصول إليها ولكن مع طول الممارسة وكثرة المران سيسهل الأمر وتعتاد النفس على خطوات اتخاذ القرار الحكيم.

ولابد هنا من التذكير بأن النية الصادقة هي أهم قرار يمكن أن يتخذه الفرد على الإطلاق. وهي نقطة التحول إلى المثالية في الحياة، وإن أعاقته العوائق المختلفة بعد وضع قدميه على أول الطريق فلا تذهب نفسه على ذلك حسرات فقد وقع أجره على الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

الخاتمة

وبعد البحث والتقصي في القرار وجهاز اتخاذ القرار وأن الإنسان متعبد بقراراته وأنها هي مادة اختباره في هذه الحياة، نخرج بنتيجة هامة وهي :

أن سبب جميع أنواع الفساد البيئية والاجتماعية والدينية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية في العالم يرجع إلى خلل ما في البرنامج التشغيلي ومحاولة تطبيق برامج غير متوافقة مع النظام، وتعطيل الجهاز المساعد لاتخاذ القرار، مما سبب فساداً كبيراً وأخطاءً فادحة. وعلى هذا نقرر مجموعة من التوصيات الهامة وهي :

١) إيجاد منظومة متكاملة من البرامج التعليمية عن طريق الحاسب الآلي التي تساعد في تنمية وتطوير جهاز اتخاذ القرار عند الإنسان.

٢) تعديل المناهج وفق خطة استراتيجية متكاملة لتفعيل وتحسين أداء هذا الجهاز بما يتوافق مع البرنامج التشغيلي الأساس الذي وضعه خالق الإنسان وموجده.

٣) الرقابة على وسائل الإعلام لتجنب تأثيراتها السلبية لأنها من أكبر مصادر إدخال المعلومات لهذا الجهاز والتي لها أكبر الأثر في تدميره أو إصلاحه.

٤) إيجـاد منظومـة متكاملة لـلأسرة لمسـاعدتها في تنمية وتطـوير هـذا الجهاز منذ بدايته عند الأطفال ومراقبة أدائه في المراحل المختلفة.

٥) إيجاد برامج تعليمية مستنبطة من البرنـامج التشـغيلي الأم وهـو الدين الإسلامي لتحسين أداء هذا الجهاز.

٦) إيجاد تخصص جديد يدرَّس في الجامعات يهدف إلى برمجة عقـل الإنسان وتفعيل الكتاب والسنة وفق منهجية منظمـة، وتوجيـه الفـرد إلى الاستفادة القصـوى مـن مـوارده وكيفيـة إدارتهـا واستثمارها. وإذا كانت جامعـات العـالم تـدرّس تخصـص إدارة وتخطيط موارد المياه، فما المانع من تعميم الإدارة والتخطيط عـلى جميع موارد الحياة، أليست الحياة بشمولها أولى بذلك ؟

٧) ولو أعطي هذا التخصص كدبلوم لدارس الطـب مـثلاً أو الهندسـة أو غير ذلك فإنه يزرع ما يسمى عند الغرب بأخلاقيات المهنـة وهـو في الإسلام الضمير والـوازع الـذي يـردع الطبيـب عـن اسـتغلال المريض مادياً ويردع المهندس والمقاول عن الغش التجـاري ويحـض كل ذي وظيفة ومسئول على الإحسان والإتقان .

٨) كما يشمل هذا التخصص تصحيح النظرة إلى الحياة وتحسين أداء الإنسان في اتخاذ القرار.

ثبت المراجع

- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن أحـدم الطـوسي الشـافعي الغزالي، صححه د.عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت: دار صادر.
- أساس البلاغة، محمود بن عمـر الـزمخشري، تحقيـق الأسـتاذ عبـد الحلـيم محمود، بيروت : دار المعرفة، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م.
- الاستثمار الأمثل وعوائده، دعبد الله بهجت وإيمان كردي، ط٦، الرياض.
- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعيد العمري، بيروت : دارالفكر، ١٩٩٥م.
- تحليل وتصميم النظم، بيني كينـدال، تعريـب د.م. سرور عـلي سرور، دار المريخ، المملكة العربية السعودية : ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- تفسير الصنعاني، عبد الـرزاق بن همام الصنعـاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، ط١، الرياض: ١٤١٠هـ.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيـد بـن خالـد الطـبري، بـيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
-تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، بـيروت : دار الفكـر، ١٤٠١هـ.

- التفكر من الشهود إلى المشاهدة، د. مالك بدري، ط٤، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٥ ١٩٩٥م
- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، ١٣٩٥هـ.
- جامع العلوم والحكم، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط٧، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
- جدد حياتك، محمد الغزالي، ط٩، دمشق : دار القلم، ١٤١٦هـ.
- حاشية ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط٢، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، بيروت : دار الفكر، ١٩٩٣هـ.
- الروح، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، دار القلم، ط٢، بيروت : ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م،
- رياض الصالحين، الإمام النووي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط١، بيروت : المكتب الإسلامي ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد عبد الباقي، دار الفكر.
- سنن أبي داود، أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سير أعلام النبلاء، الإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ.
- السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت : دار القلم.
- شرح السنة، الحسين مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق : ١٤٠٠هـ.
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ .
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، بيروت : دار العلم للملايين، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة العصرية، ط١، بيروت : ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

- صحيح ابن حبان، أبو حاتم ابن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الرسالة، ط٢ بيروت : ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق النيسابوري، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت : المكتب الإسلامي.
- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض : مكتبة المعارف.
- صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، بشرح الإمام يحيى بن شرف النووي، ضبط محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت : ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- صفوة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت : ١٤١٩هـ ١٩٩٩.
- الطب محراب الإيمان، الدكتور خالص جلبي، دار عالم الكتب، الرياض : ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
- الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دارالنفائس، بيروت.

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت : دار الجيل.
- قواعد التحديث، محمد جمال الدين القاسمي، ط١، بيروت : ١٣٩٩هـ.
- كتاب الزهد، عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت : دار الكتب العلمية.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، بيروت : دار إحياء التراث العربي.
- اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ .
- مختصر منهاج القاصدين، الإمام أحمد بن محمد المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٨، بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- المسجد وبيت المسلم، أبو بكر الجزائري، المكتبة العصرية بيروت صيدا : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت : ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بيروت : دار الفكر.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي ابن عبد المجيد السلفي، ط٢، الموصل : مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم المنتصر وآخرون، دار المعارف، ط٢، مصر : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- مقدمة في بحوث العمليات، حمدي طه، تعريب أحمد حسين علي حسين، دار المريخ، الرياض : ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- الموطأ، الإمام مالك بن أنس، صححه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث.
- النظم الإسلامية، د. عبد الله الضحيان، دار المآثر.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة